جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

العلوم الإنسانية والإجتماعية
تاريخ عام
تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
شيتور صابر / مرزوقي وليد

يوم://

جوانب من الحياة الفكرية والعلمية للمغرب والأندلس من القرن 3 إلى 5هـ/ 9- 11م من خلال كتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" للقاضي عياض (ت 544هـ/ 1149م).

لجنة المناقشة:

علي عيادة	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر – بسكرة	رئيسا
علي زيان	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر – بسكرة	مشرفا ومقررا
اسامة بقار	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر – بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2020 /2021

شكر وعرفان

الحمدلله الذي وفقنا وأعاننا في هذا العمل، فسبحانه جلى وعلا، نعمى المرشد ونعمى المعين.

"من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل".

إلى صاحب الأفكار النيرة، أطيب التحيات وأجملها نرسلها لك بكل حب وإخلاص،

تقديرا وعرفانا على كل ماقدمته لنا طوال هذه الفترة من جهودك القيمة والثمينة التي وجهتنا فيها بعبارات من ذهب لتكون لنا منارة تضئ طريق نجاحنا، نتوجه لك بالشكر والعرفان والفضل الكثير لدكتورنا وأستاذنا الفاضل " **زيان علي**".

كما نتوجه بجزيل الشكر إلى كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل.

ونحن واقفين في هذا المقام نتقدم بجزيل الشكر والتقدير للجنة المناقشة، وقفة إجلال وإحترام لتصويباتهم وملاحظاتهم القيمة لكي يجعلوا هذا البحث عملا متكاملا بإذن الله تعالى.

المـــقدمة

تزخر بلاد المغرب والأندلس بالعديد من الشخصيات العلمية التي كان لها صيت قوي في كل الأقطار الإسلامية لما تركته من تراث فكري وعلمي متنوع، التي ساهمت في بناء الحضارة الإسلامية كُل حسب مجاله العلمي والفكري وكان من بين هذه الشخصيات أبو الفضل عياض موسى اليحصبي الذي اشتهر بالعديد من المؤلفات العلمية الجليلة يتقدمها كتابه (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) وعلى الرغم من أن الكتاب تراجمي يتناول أعلام مذهب الإمام مالك إلا أنه من جانب آخر يسلط الضوء على جوانب مهمة من الحياة الفكرية والعلمية لبلاد المغرب والأندلس.

وفي هذا الاطار جاء موضوع دراستنا موسوما بـ: "**جوانب من الحياة الفكرية والعلمية في المغرب والأندلس من القرن 3 إلى 5هـ/ 9- 11م من خلال "كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" للقاضي عياض (ت 544هـ/ 1149م).**

-إشكالية الدراسة

ومن هذا المنطلق، يمكن طرح **إشكالية** الموضوع كالتالي: مامدى مساهمة القاضي عياض في إعطاءنا صورة عن الحياة العلمية والفكرية للمغرب والأندلس من خلال كتابه؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية عدة تساؤلات فرعية وهي:

- ما هي الأوضاع التي سادت عصر القاضي عياض؟ وهل كان لها دورا في تكوينه العلمي؟
- من هو القاضي عياض؟ وما هي مؤلفاته العلمية؟
- فيما تتمثل مظاهر الحياة الفكرية والعلمية من خلال ما ذكره القاضي عياض في كتابه؟

- ماهي أبرز إسهامات القاضي عياض في إعطاءنا لمحة عن الجانب العلمي والفكري لبلاد المغرب والأندلس؟

أسباب اختيار الموضوع

تعددت الأسباب في اختيار الموضوع بين أسباب ذاتية واخرى موضوعية.

أسباب ذاتية:

- محاولة التمكن من البحث في هذا النوع من الدراسات التي تختص بالمجالات العلمية والفكرية المُستخرجة من كتاب.
- الرغبة في دراسة التاريخ الثقافي لبلاد المغرب والأندلس من خلال مؤلفات القاضي عياض المتنوعة.

أسباب موضوعية:

- الحاجة لمثل هذا النوع من الدراسات لقلة الأبحاث التاريخية التي تستخرج وتستخلص المادة التاريخية والحضارية من مصادر أخرى لا تقل أهمية عن كتب التاريخ السياسي ألا وهي كتب التراجم والطبقات.
- قلة الدراسات العلمية التي تناولت كتاب ترتيب المدارك من الناحية الفكرية والثقافية.

ثالثا: أهداف الدراسة

- التعريف بكتاب ترتيب المدارك وتسليط الضوء على محتواه ومنهجه.
- تسليط الأضواء على فقيه، كان له منهجا علميا في تناوله الجوانب الفكرية المثبوتة في كتابه " ترتيب المدارك".
- تحليل الجوانب الفكرية الواردة في المدارك ومقارنتها بما ورد في المصادر الاخرى.

المنهج المتبع في الدراسة:

تم الإعتماد في دراسة هذا الموضوع على عدة مناهج وذلك لطبيعة الموضوع:

-**المنهج التاريخي:** من خلال دراسة الأوضاع السائدة خلال عصر القاضي عياض وذكر أبزر الأحداث والوقائع التاريخية حسب تسلسها الزمني.

-**المنهج الوصفي:** من خلال دراسة واستعراض حياة القاضي عياض وتناول مؤلفاته العلمية ووصف مختلف المعلومات التي وردت في كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك).

-**المنهج التحليلي:** بعد وصف المعلومات الواردة في الكتاب وجب علينا تجزئتها وتحليلها بالإعتماد على مختلف المصادر والمراجع التي لها علاقة بموضوع الدراسة.

خطة الموضوع

ولدراسة هذا الموضوع قمنا بوضع خطة مفصلة كالآتي: مقدمة وفصل تمهيدي، وفصلان في صلب الموضوع، وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، **فالمقدمة** احتوت على تمهيد للموضوع ثم طرح إشكالية الدراسة والتساؤلات الفرعية، بالإضافة إلى أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، ثم ذكر أهداف الدراسة، والمنهج المتبع في البحث، مع الإشارة إلى أهم المصادر والمراجع التي إعتمدنا عليها في هذا الموضوع.

الفصل التمهيدي تحدثنا فيه عن مجمل الأوضاع التي عاصرها القاضي عياض، كالوضع السياسي والإقتصادي والإجتماعي والديني والفكري.

الفصل الأول عنواناه بالتعريف بشخصية القاضي عياض، حيث تضمن ثلاث عناصر رئيسية، فالأول عن حياة القاضي عياض، والثاني عن مؤلفات القاضي عياض، والثالث تطرقنا فيه لمكانة الكتاب العلمية (ترتيب المدارك).

الفصل الثاني فقد كان بعنوان: مظاهر للحياة الفكرية والعلمية في المغرب والأندلس، وقد تضمن أربع عناصر رئيسية: الرحلات والمناظرات العلمية، واهتمام الخلفاء والحكام بالعلم والعلماء، كما عرجنا إلى دور المدارس في الإنتاج العلمي، وأيضا مكانة العلماء الفكرية والثقافية.

وفي الأخير كانت **الخاتمة** عبارة عن مجموعة من الإستنتاجات توصلنا إليها من خلال هذا البحث.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة

من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها نذكرها على النحو التالي:

-نذكر في البداية كتاب"**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**" للقاضي عياض (ت **544هـ/ 1150م**) باعتباره المصدر الاصلي وهو محور الدراسة وقد استخرجنا منه الجوانب العلمية والفكرية في بلاد المغرب والأندلس التي تحدث عنها صاحب الكتاب او أشار إليها، وذلك من خلال ترجتمة لعلماء المالكية حيث يذكر فيها مكانتهم، ورحلاتهم من أجل طلب العلم، كذلك يذكر المناظرات العلمية التي كانوا يقيمونها، واهتمام الحكام بالعلم والعلماء، وكثرة الإنتاج العلمي من الكتب والمؤلفات، بالإضافة إلى انتشار أنواع من المدارس ودورها في التكوين.

-كتاب "**فهرست شيوخ القاضي عياض"الغنية**" للقاضي عياض، الذي احتوى على ترجمة شيوخ ومعلمي القاضي عياض، الذين أخذ عليهم العلوم والمعارف، والتي من خلالها استطعنا معرفة علاقة العلماء بطلبتهم، فهو يشرح مكانة العلماء المالكيين في المغرب والأندلس، ويفصل في الوضع الفكري آنذاك، ويذكر وضع الفقهاء المادي والفكري ودورهم في الحياة العامة.

-كتاب "**التعريف بالقاضي**" لإبنه محمد بن عياض، وهو أهم المصادر، وأقربها إلى القاضي عياض، حيث تضمن الكتاب على ترجمته، ونسبه وأصله ونشأته، ومكانته وشيوخه وتلاميذه، وتوليه القضاء، ووفاته، وهو كتاب صغير أفادنا في ترتيب مادة البحث في الفصل الاول من هذا البحث.

- كتاب **"الصلة"** لابن بشكوال، (ت 578هـ/1182م) وهو كتاب تراجم، وصل فيه المؤلف كتابا آخر لابن الفرضي المسمى "تاريخ علماء الأندلس"، وقد ترجم للقاضي عياض في كتابه ولكنّها ترجمة مختصرة، وقليلة المعلومات وفي الوقت ذاته، أفادنا بتأكيد صحة هذه المعلومات، وفيه ترجمة عن بعض شيوخ وتلاميذ القاضي عياض.

- كتاب **"أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"** لمؤلفه أحمد المقري، (ت 1041هـ/1631م) وهو من أهم المصادر التي تخص حياة القاضي عياض، حيث ألفه صاحبه خصيصا في ترجمة القاضي عياض، وفيه ترجمة موسعة عن حياته، استفدنا منه كل ما يخص هذا العالم منذ ولادته إلى غاية وفاته.

أما بالنسبة لاهم المراجع نذكر مايلي:

-كتاب "**القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية**" لبشير علي محمد الترابي، وقد ساعدنا في معرفة المكانة الفكرية للقاضي عياض.

-كتاب "**القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته**" لمؤلفه الحسين بن محمد الشواط، والذي احتوى على دراسة خاصة لحياة القاضي عياض، وقد أفادنا في معرفة شخصية القاضي وأحواله.

-كتاب "**القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية**" لبشير علي محمد الترابي، وقد ساعدنا في معرفة المكانة الفكرية للقاضي عياض.

– كتاب **"المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)"** لإبراهيم القادري بوتشيش وهو كتاب يحتوي على معلومات تخص عصر القاضي عياض وأبرز الأوضاع السائدة آنذاك، فقد أفادنا في معرفة الأوضاع العامة التي عاش فيها القاضي عياض، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو إجتماعية.

– كتاب **"دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف ابن تاشفين أمير المرابطين"** لمؤلفه نصر الله سعدون عباس، والذي أفادنا في ذكر الأحوال العامة التي عاش فيها القاضي عياض، وذلك بمعرفة حال السياسة والاقتصاد في ذلك العصر.

هذا إلى جانب مجموعة أخرى من المصادر والمراجع ساعدتنا في إتمام هذا البحث ذكرناها مفصلة في نهاية الدراسة.

الـــفصل التمـهيدي

الأوضاع العامة في المغرب والأندلس خلال عصر القاضي عياض ق (5- 6هـ/ 11- 12م)

أولا: الوضع السياسي.

ثانيا: الوضع الإقتصادي.

ثالثا: الوضع الإجتماعي.

رابعا: الوضع الديني والفكري.

تمهيد:

لقد وافق زمن ميلاد العلامة والفقيه القاضي عياض زمن الاستقرار والرخاء في بلاد الغرب الإسلامي، مما ساعد القاضي على طلب العلم والتفرغ لدراسة الفقه والفتوى، فقد كانت له نتائج إيجابية في العديد من مجالات التأليف والتعليم والفقه والفتوى بالإضافة إلى جانب القضاء، وقد عرف القاضي عياض في آخر حياته مشاكلا بسبب عدم وجود الإستقرار السياسي خاصة الإضطرابات التي شهدتها الدولة المرابطية التي سقطت لتأتي بعدها دولة الموحدين، حيث لم يعش القاضي عياض كثيرا في فترتها ثم توفي، وسنتطرق في هذا الفصل إلى بعض جوانب الأوضاع العامة التي زامنت فترة القاضي عياض سواء كانت سياسية، إقتصادية، إجتماعية وثقافية[1].

أولا: الوضع السياسي

لقد كانت الفترة التي ولد فيها القاضي عياض هي فترة حكم المرابطين، التي تأسست على يد الفقيه عبد الله بن ياسين[2]، الذي دخل مع إبراهيم في مضارب ومواطن الملثمين في قبيلة جدالة سنة 430هـ/1038م، فاستقبله أهلها واستمعوا له، حيث لاقى عبد الله بن ياسين كثيرا من الصعوبات، فقد وجد الملثمين لا يصلون ولا يعرفون من الإسلام إلا إسمه، وانحرفوا عن معالم العقيدة الصحيحة وتلوثت أخلاقهم وأحكام دينهم، فثاروا عليه وكادوا أن

1-حكيم باشا: **القاضي عياض وجهوده العقدية في مبحث الإلهيات والنبوات**، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة، إشراف عمار جيدل، قسم الأديان والعقائد، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2010م، ص 14.

2- هو الفقيه عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير علي الجزولي، ولد بقرية تيماماناوت في طرف الصحراء، من أئمة المالكية في المغرب، وأمير ومؤسس دولة المرابطين توفي سنة 451هـ/1059م، أنظر ابن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (د ط)، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1972م، ص ص 124-127.

يقتلوه، فترك قبيلة جدالة، وانتقل إلى قبيلة المتونة، ثم اختار رباطه المشهور على مصب نهر السينغال بعد انتشار صيته، وتعلق الناس به[1].

وقد استمرت دعوة عبد الله بن ياسين بعد انضمام نحو ألف رجل معه في رباطه، وأن من حكمته أنه لم يكن متهورا، بل كان ينتظر حتى يتفقه القوم ويرسخ الدين فيهم، وبعد تعليم هذه الثلة من الرجال، بدأت الدعوة الحقيقية الجماعية (دعوة ألف رجل) بعد أن كانت فردية متمثلة في عبدالله بن ياسين، فسار كل رجل منهم إلى قومه وعشيرته، وبدأ الرجال بالوعظ والخطابة والدعوة إلى ترك ما فيهمن المنكرات، وبعد ذلك إلتقى شيوخ القبائل بعبد الله بن ياسين بعد سماعهم لأفكار رجاله، وذلك حبا ورغبة في التلقي والابتعاد عن المنكرات ومن هنا بدأت معالم الدولة تتجلى مع عبد الله بن ياسين[2].

ففي عام (447هـ/ 1055م) اجتمع فقهاء سلجماسة ودرعة وكتبوا إلى ابن ياسين يرغبونه في الوصول إليهم، ليخلص بلادهم مما تعانيه من حكم الطغاة زناتة المغراويين وأميرهم مسعود بن واندين، فجمع ابن ياسين شيوخ قومه وقرأ عليهم رسالة فقهاء سجلماسة، فأشاروا عليه بمد يد المعونة لهم، فقالوا له:" أيها الشيخ الفقيه هذا ما يلزمنا فسر بنا على بركة الله"، فخرجت جموع المرابطين في شهر صفر سنة 447هـ/1055م إلى بلاد درعة، فتصدى لهم الأمير مسعود بن واندين للقتال، وانتهت المعركة بهزيمة المغراويين ومصرع الأمير مسعود، وأسرع ابن ياسين بدخول سجلماسة وأصلح أحوالها، وقدم عليها عاملا من لمتونة وحامية مرابطية ثم عاد إلى الصحراء[3]، وقد كان الوضع قبل ظهور دولة المرابطين في المغرب والأندلس يعيش جو من الإضطراب والإنقسام السياسي والضعف على المستوى

1- علي محمد الصلابي: **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي**، ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009م، ص 27.

2- ابن أبي زرع الفاسي: **المصدر السابق**، ص ص 124-127.

3- علي محمد الصلابي: **المرجع السابق**، ص 62.

التعليمي والديني والإجتماعي وعند حكم دولة المرابطين لبلاد الغرب الإسلامي عرفت شيئ من الاستقرار والهدوء[1].

وفي عام 448هـ/1056م، توفي الأمير يحيى بن عمر اللمتوني، فعين عبد الله بن ياسين أخاه أبا بكر بن عمر مكانه للقيادة، ثم تأهب أبوبكر لغزو بلاد السوس، ففي ربيع الثاني سنة 448هـ/ 1056م سار المرابطون صوب بلاد السوس، واختار أبو بكر بن عمر عمه يوسف بن تاشفين[2]، ليتولى القيادة على مقدمة الجيش المرابطي، وكان ذلك أول ظهور ليوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين وقائد مرحلة التمكين للدولة، فقد تمكن من احتلال أرودانت، وقضوا على الروافض والوثنيين، كما قاتلوا اليهود المتشددين في تلك النواحي فأعادوا بذلك تلك المناطق إلى مذهب أهل السنة والجماعة[3].

وفي الوقت الذي أوشك المرابطين على الإنتهاء من بسط نفوذهم على المغرب، بدأت أيادي ملوك الطوائف تمتد نحو يوسف بن تاشفين لوضع حد للتحرشات النصرانية، قد بدأت استغاثة بعض ملوك الطوائف لبلاد الأندلس مع المعتمد بن عباد الذي ذهب بنفسه إلى القائد المرابطي يوسف بن تاشفين طلبا للنجدة، وفي هذا الوقت كانت بلاد الأندلس مقسمة إلى اثني وعشرين دولة، فقد أصبحت حلم كل الطامعين للجاه والنفوذ والسلطان، ولم يكن أمام يوسف بن تاشفين سوى تلبية دعوة الجاد وفك الحصار على إخوته المسلمين في

1- إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993م، ص 12.

2- هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترغوت بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتمالي بن تاليت الحميري الصنهاجي، ولد سنة 400هـ/ 1009م بالصحراء، أمه حرة لمتونية بنت عم أبيه، قائد معركة الزلاقة بالأندلس، توفي في سنة 500هـ/1106م، للمزيد أنظر ابن أبي زرع الفاسي: **المصدر السابق**، ص ص 134-137.

3- علي محمد الصلابي: **المرجع السابق**، ص ص 62-63.

الأندلس، وبعد تخطيط كبير من القائد المرابطي وقعت الحادثة الشهيرة معركة الزلاقة[1]، سنة 479هـ/1086م ضد ملك قشتالة ألفونسوا السادس التي انتهت بانتصار ليوسف بن تاشفين مما عزز مكانته لدى أهل الأندلس وأصبح كقائد قادر على توحيد الأندلس وتخليص أهلها من التشتت والضياع[2].

وقد ترسخت أركان الدولة المرابطية في عهد يوسف بن تاشفين وشب عودها، وأصبح مهابة الجانب، وبلغت أوج اتساعها من أقصى نقطة في شمال الأندلس حتى تخوم السودان جنوبا ومدينة الجزائر شرقا، وقد شهد عهده ازدهارا مهما عبر عليه بقول بعضهم:" أقامت بلاد الأندلس في مدته سعيدة حميدة في رفاهية عيش وعلى أحسن حال، لم تزل موفورة محظوظة إلى حين وفاته"، وقد تمكنت دولته من السيطرة على تجارة البحر الأبيض المتوسط وتجارة القوافل الصحراوية، ونشر الإسلام في ربوع السودان، ناهيك عن المعارك المظفرة التي نجحت في ردع التطلعات الصليبية شمال الأندلس، وقد تمكن يوسف بن تاشفين بعد تحقيق وحدة الدولة من تأسيس نظام سياسي منظم ومستقل بذاته[3].

ثانيا: الوضع الإقتصادي

1. الزراعــة:

إستوطن الملثمون المنطقة الصحراوية الممتدة من غدامس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن جبال الدون شمالا إلى أواسط الصحراء جنوبا، فكانت هذه المنطقة محرومة من

1- الزلاقة بفتح أوله وتشديد ثانيه للقاف أصله من قولهم مكان زلق أي حصن، والزلاقة أرض بالأندلس قرب قرطبة، حدثت فيها معركة بين يوسف بن تاشفين وملك قشتالة ألفونسوا السادس يوم الجمعة 12 رجب 479هـ/1086م، وانتهت بانتصار كبير للمسلمين. أنظر ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دط، دار صادر، بيروت، 1977م، ص 146.

2- إبراهيم القادري بوتشيش: **المرجع السابق**، ص ص 13-14.

3- **المرجع نفسه**، ص ص 16-17.

الأنهار الدائمة والغطاء النباتي، توزع الملثمون حول هذه الواحات فظهرت مع مرور الوقت قرى صغيرة حيث إستفادت من توفر المياه الجوفية حيث عملوا في قطاع الزراعة، وخاصة زراعة مادة الشعير فهو ينبت بالأرض الفقيرة ويكتفي بالقليل من الماء، إزدهرت زراعته في منطقة أزكى حيث تقطن قبيلة لمتونة، أما القمح فكان نادر لعدم توفر العناصر الطبيعية لنموه، وكانت الواحات أبرز المناطق الخضراء بحيث يعتبر النخيل هو أهم الأشجار المثمرة في الصحراء، وإعتبرت مدينة سجلماسة الأكثر عمرانا وكثافة بالنخيل حيث شبهها ابن بطوطة بالبصرة، وكانت مدينة أزكى تحيط بها أكثر من عشرين ألف نخلة وإستفاد الملثمون من النخيل فزرعوا البطيخ والقرع والكوسا والذرة كما إزدهرت زراعة القطن في واحة سجلماسة وكذلك قصب السكر.

كما عرفت الصحراء نوعا من الثمار يسمى بالقرني وهو شبيه بالإجاص شديد الحلاوة، أما وسيلة الزراعة فكانت المحراث الخشبي تجره الجمال في عملية الحرث، وإستعمل الحيوان في كسب قوة المرابطين وإستخدم في تنقلاتهم واستفادوا من لحمه وجلده لصناعة العباءات والألبسة والأنعال، كما عرف المرابطون تربية البقر والغنم والماعز كما إهتموا بتربية النحل للحصول على العسل والشمع، وقد مارسوا الصيد خاصة صيد الحمار أو البقر الوحشي[1].

أما عن المحاصيل الزراعية فقد إشتهرت زراعة الزيتون في فترة حكم المرابطين كذلك إزدهرت زراعة الكروم، كما كثرت زراعة الكمثرى والرمان والسفرجل كما كثرت زراعة التين، وقد لجأ المرابطون في عصر يوسف إلى تطبيق سياسة ذات أثر بعيد في إنعاش الزراعة، فقد أقطعوا الجند أرضا يزرعونها ويستثمرونها وينتفعون بخيراتها في مقابل أداء واجب الدفاع عن وطنهم، ويرى الدكتور حسن محمود أن المرابطين قد طبقوا السياسة الزراعية في المغرب

1- سعدون عباس نصر الله: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف ابن تاشفين أمير المرابطين**، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م، ص ص 13-15.

فضلا عن الأندلس وأقطعوا جنود لمتونة خاصة وجنود الملثمين عامة أرضا يفلحونها وينتفعون بخيراتها[1].

كما تقدمت الزراعة بالمنطقة خلال العصر المرابطي وحتى حكم الناصر الموحدي وزاد الإنتاج الزراعي وشهدت البلاد وفرة في المحاصيل وذلك يعود لعدة عوامل ساهمت في إزدهار الزراعة منها: النواحي الطبيعية التي تمتعت بها المنطقة، يضاف إلى ذلك القوى البشرية والتي اتخذت من فلاحة الأرض مصدر رزق، كما أن ولاة الأمور كان لهم إهتمام كبير بالزراعة، فمن ناحية الطبيعة كانت المنطقة تتمتع بالتربة الخصبة والمناخ المتنوع، فقد إنقسم السطح إلى عدة مناطق كل منطقة لها الأثر في النشاط الزراعي، ومنها الإقليم الساحلي على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ويمتاز بالتربة الخصبة كما أن هناك منطقة الوديان والتي تصب فيها الأنهار وأهمها نهر ملوية وهو بين تلمسان ورباط تازا ونهر مسبو وهو محيط بمدينة فاس ونهر أبو الرقراق وأم الربيع وينحدران من الأطلس المتوسط وهم غزيري المياه، وقد ساعدت هذه الأنهار في قيام زراعة صالحة، وأيضا العامل البشري أي القوى البشرية كان لها دور في تنشيط الحركة الزراعية وهم الفلاحين الذين نشأوا على أرض بلاد المغرب، وإتخذوا من الفلاحة مهنة وحرفة يتوارثونها عن أبائهم وأجدادهم، وإستغلت الظروف الطبيعية في إستثمار المحاصيل الزراعية فقبائل دكالة إمتهنت الزراعة وقامت بزراعة البساتين والحدائق المختلفة.

وبجانب الأيدي العاملة من أهل البلاد فإن الهجرات المختلفة التي جاءت من إفريقية وإستوطنت ببعض الأقاليم، وقد ساهمت في تزويد البلاد بالخبرات الفلاحية مما أسهم في تنشيط الزراعة، بالإضافة إلى الخبرات التي إقتبسها المغاربة من أهل الأندلس وخاصة بعد أن أصبح إقليم الأندلس تابعا للمرابطين منذ عهد يوسف ابن تاشفين، إذ إشترك الأندلسيون

1- حمدي عبد المنعم محمود حسن: **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م، ص ص 359- 360.

في تبادل الخبرات مع إخوانهم المغاربة، كذلك إهتمام الحكام بالزراعة مثل مساهمة ولاة المغرب في دفع عجلة الإنتاج بالبلاد ومن ذلك إهتمام المرابطين بالزراعة ومايتعلق بها إذ أخذوا على عاتقهم مهمة توفير الأمن والطمأنينة للسكان والقضاء على الفتن والحروب[1].

لجأ المرابطون إلى تطبيق سياسة كانت ذات الأثر البعيد في مضاعفة الإنتاج وإنعاش الزراعة في البلاد، ذلك أن المنصور بن أبي عامر وخلفاؤه عمدوا إلى إنتزاع الإقطاعات الزراعية التي كانت قد منحت للجند مقابل خدماتهم العسكرية، وساءت الأحوال الإقتصادية في عهد الطوائف بسبب الحروب والفتن، فلما أل الأمر إلى المرابطين عادوا إلى السياسة القديمة وأقطعوا الجند أرضا يفلحونها ويستثمروها وكانت هذه السياسة الحكيمة جيدة ولها الأثر في تاريخ الحياة الإقتصادية في البلاد وقد أقبل الفلاحون على الأرض التي هجرت من قبل، ولقد كانت السياسة الرشيدة لها دور وأثر كبير في تضاعف الإنتاج الزراعي في بلاد المغرب والأندلس[2].

إن بلاد المغرب تمتعت بطبيعة مهيأة للزراعة فهي تتمتع بشريط ساحلي يطل على البحر الأبيض المتوسط شمالا وعلى المحيط الأطلسي غربا وتخللها العديد من الوديان والأنهار التي جعلت منها أرض خصبة صالحة للزراعة، ويعتبر نهر سيو من الأنهار المهمة في المنطقة، وقد إهتم المرابطون بالزراعة فقد قام علي بن يوسف ببناء قنطرة على نهر تاشفين وقد جلب لها الصناع من الأندلس وقد أدت دورا مهما في توزيع المياه على الزروع وقد جاءت أراضي المغرب بالعديد من المزروعات والمنتجات في أغلب مناطقها، وكان هناك العديد من الخضر أهمها اللفت والخيار والباذنجان والكرنب والأرز وغيرها[3].

1- حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م، ص ص 232-236.

2- حسين أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين صفحة مشتركة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، (د ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ت)، ص ص 405- 406.

3- عبد الله عبد العزيز التقاز: "**الحياة الإقتصادية والإجتماعية في دولة المرابطين 488-541هـ/1056-1146م**"، ع6، مجلة كليات التربية، جامعة الزاوية، ليبيا، (2019م)، ص ص 340،341.

2. الصناعــة:

لقد إختزنت نوازل ابن الحاج معلومات متنوعة في ميدان الصناعة فقد أشارإلى العديد من الصناعات كالحياكة والنسيج والدباغة ...إلخ، أما بالنسبة للتعدين في عصر المرابطين فقد شاعت حاجتهم للمعادن وما يؤكد ذلك ضرورتهم للتحرف، فقد كانت هذه الصناعة تمر بالعديد من الأطوار، حيث كان الفقهاء يفتون في الحديد الذي يساق من المعادن ويباع ويسوق للحدادين، كما أن نوازل ابن الحاج تميط اللثام عن إزدهار صناعات أخرى وتحدد أماكنها كصناعة العصير وصناعة الكروم[1].

كما مثلت الصناعة في عصر المرابطين نشاطا من الأنشطة الإقتصادية المهمة التييعتمد عليها سكان بعض المناطق ولقد كان لإزدهار الصناعة عدة عوامل أهمها:

-إستقرار الأمن في البلاد حيث كون المرابطون دولة واسعة الأرجاء قوية الأركان، كما تم القضاء على الكيانات السياسية التي كانت قائمة قبل الفتح المرابطي وبذلك تكون قد وفرت للسكان الأمن لمباشرة أعمالهم وحرفهم.

-إتصال بلاد المغرب ببلاد الأندلس التي دخلت تحت سيطرة المرابطين فكانت الهجرات الأندلسية من أهم أسباب إزدهار الصناعة.

-وجود الأيادي العاملة المدربة على الصناعات المختلفة التي كانت منتشرة في أنحاء البلاد.
-توفر المادة الخام اللازمة للصناعة وهي العامل الأساسي لقيام الصناعة ومنها الخامات المعدنية كالحديد والنحاس الأحمر.

1- هشام البقالي: "**الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية للأندلس عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج التجيبي**"، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي، الممكلة المغربية، ص 106.

-الثروة الحيوانية كانت من أهم العوامل التي زادت من الإنتاج الصناعي[1].

كما تعتبر المنتجات الزراعية من أهم المواد الخام اللازمة للصناعة لما جاءت به أرض المغرب من محاصيل زراعية متنوعة كان لها الأثر في تقدم الصناعة، كما عرف المرابطون صناعة المنسوجات والألبسة من الصوف والقطن والوبر التي كانت تغزل باليد وتنسج منها الملابس والأفرشة المتنوعة، كما كانت هناك صناعة الزيوت خاصة زيت الزيتون وإستخراج السكر وصناعة الخمور بالإعتماد على محصول العنب والتي كانت تباع في الأسواق في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

كما عرفت صناعة الورق التي يراها ابن خلدون بأنها من توابع العمران وإتساع نطاق الدولة حيث كانت التآليف والدواوين المتنوعة، بالإضافة إلى الصناعة الخشبية التي تجلب من الأندلس أما الصناعات التي قامت على الثروة الحيوانية يأتي في مقدمتها صناعة دبغ الجلود التي إشتهرت بها مدينة فاس، تلك الصناعة تقوم على جلود الضأن والبقر وكانت هذه الصناعة عظيمة وسريعة الإنتشار[2].

لعبت الصناعة دورا بارزا في إزدهار إقتصاد دولة المرابطين حيث برزت وإزدهرت صناعات كثيرة ومتنوعة نتيجة عدة عوامل أهمها: إستقرار الأوضاع وتوفر المواد الخام إضافة إلى الخبرة الصناعية التي توارثها المرابطون والتي عجلت بالتصنيع ودفعتها إلى الأمام، وقد قامت الصناعة عند المرابطين على دعامتين أساستين هي: توفر المواد الخام في البلاد وهذه المواد متنوعة وهي: معدنية أونباتية أوحيوانية، فمثلا المعدنية تنوعت مادتها وأماكنها ومن هذه المعادن معدن الحديد والنحاس والفضة، أما بالنسبة للذهب فقد أشار

1- حماد فضل الله الصالحين صالح: **تاريخ المغرب الأقصى الإقتصادي والإجتماعي في عصر المرابطين (448-541هـ/1056-1146م)**، رسالة ماجستير في التاريخ إسلامي، إشراف علي حسين الشطشاط، قسم التاريخ، كلية الأداب، جامعة بنغازي، ليبيا، 2013م، ص ص 39-45.

2- **المرجع نفسه**، ص ص 42-45.

المراكشي أنه مستورد من بلاد السودان، وأيضا المواد النباتية نجدها قد قامت على بعض الصناعات يأتي في مقدمتها تلك الغابات ومنها كانت تأخذ الأخشاب وخاصة خشب الأرز لصناعة السفن، بالإضافة إلى المحاصيل الزراعية التي تقوم عليها بعض الصناعات كإستخراج الزيوت من الزيتون وصناعة الملابس القطنية من محاصيل القطن وصناعة السكر.

كما احتاج المرابطون إلى الصناعات الحربية فالدولة المرابطية قد خاضت حروب عديدة سواء في المغرب أو الأندلس وهما لاجدال فيه أن الدولة كانت بحاجة ماسة إلى ما يفي غرضها من أسلحة وهذا ماعمل على تنشيط الصناعة بصفة عامة والصناعات الحربية بصفة خاصة فتنوعت أسلحة المرابطين ومن أهم الصناعات التي كانت خلال فترة المرابطين الصناعة الحربية ولقد ازدهرت هذه الصناعة لدى المرابطين(قتب الجمال) وأيضا الآلات الحربية كالأطاس والخناجر ويعود ازدهارها إلى الحروب المستمرة بين الملثمين وجيرانهم الوثنيين، كما ازدهرت أيضا صناعة اللمط والمزاريق والسروج أيضا، إلى جانب هذه الصناعات لجأ المرابطون إلى صناعات أخرى منها الصناعات الغذائية كإستخراج الزيوت والورق والنسيج والصناعات الخشبية والمعدنية[1].

كما ازدهرت الصناعة المحلية للإكتفاء الذاتي، وتطورت في الكم والنوع والصناعات المنزلية وكذلك الأدوات الحربية التي ازدهرت بسبب الحروب المستمرة بين الملثمين وجيرانهم الوثنيين من السودان وغانا، كما إهتموا بصناعة السروج ولجام الخيل، كما ازدهرت الصناعة الغذائية فاستخرجوا الزيت من ثمر الفرتن وذلك بعصر قشره، واستعملوه في طهي الطعام وإنارة السرج ليلا وكانوا يمزجونه بالرمل ويطلون به أسطح المنازل فيخفف من شدة الحر،

1- الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراقالآفاق، (الجزء المتعلق بصفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس)**، (د ط)، المطبعة الشرقية ليدن، امستردام، 1969م، ص ص 70-75.

واشتهرت مدينة تاوردنت بصناعة قصب السكر والمنسوجات والألبسة من الصوف والقطن والوبر وكذلك يصنعون من ثمار القرع أو أن يضعون فيها الملح والبهارات[1].

ولإنقطاعهم في الصحراء تعمد الملثمون في مرحلة من مراحلهم إلى صناعة مايحتاجونه بأيديهم وأدى ذلك إلى ازدهار الصناعة المحلية ومحققة للإكتفاء الذاتي، وكانت صناعتهم يدوية لا تضم عمالا كثيرين بل تقتصر على سكان المنزل، وأهم صناعاتهم: الصناعات الحربية وصناعة قتب الجمال ولها أهمية واسعة وتصنع من الخشب المستورد من بلاد السودان وتحشى بالقش والحلفاء المقطوعة من الواحات، إلى جانب صناعة القتب إزدهرت صناعة اللمط والمزاريق[2].

3. التجارة:

حظيت التجارة بنصيب وافر في عصر المرابطين فقد كان امتداد رقعة الدولة في السودان والمغرب والأندلس عظيم الأثر في ازدهار النشاط التجاري مما أدى إلى التفتح إلى التسويق للمنتجات الزراعية والصناعية، فنشطت حركة الصادرات والواردات ونمت التجارة داخليا وخارجيا، ولاشك أن عامل الإستقرار كان له الأثر في تأمين كافة الطرق التجارية كما أن نمو البحرية المرابطية في عصر علي بن يوسف وإحتلالها مركزا مهما في حوض البحر المتوسط، كان لها الأثر في ازدهار التجارة الخارجية المرابطية وتأمين الطرق التجارية من الأخطار.

1.3- التجارة الداخـــلية:

1.1.3-الطرق التجارية:

1- محمد علي الصلابي: **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2003م، ص 13.

2- سعدون عباس نصر الله: **المرجع السابق**، ص 15.

أ) الطرق البرية:

إن دراسة هذه الطرق لايمكن فصلها عن الطرق المؤدية إلى السودان الغربي كما يرتبط المغرب وبلاد السودان بطريقين أساسين هما:

- طريق يبدأ من تلمسان عبر وجدة ثم فاس، فسلجماسة ثم أودغشت لتصل إلى بلاد السودان.
- أما الطريق الثاني فينطلق من تلمسان فوجدة ثم فاس، أما تلمسان فكانت طرق أخرى تربط بينها وبين المدن التجارية الثانوية كتيهرت ووهران وتنس[1].

ب) الطرق النهرية:

مما يساعد على إزدهار حركة التجارة تلك الطرق التي كانت تربط معظم المدن المغربية في بعضها البعض وبجانب ذلك مجموعة من الأنهار التي كانت تشق وديان المغرب، والتي كانت تزخر بالقوارب والمراكب والبضائع فوادي"سبو" كانت تمشي فيه القوارب إلى البحر[2].

ج) الأسواق:

لقد عرفت الدولة المرابطية عبر مختلف المناطق أسواقا منتظمة ومتشابهة إنفردت كل صناعة بناحية معينة من السوق، كسوق النحاسين، وسوق الفاكهة وسوق الزياتين والأسماك وغير ذلك من الأسواق التي تضم عدة متاجر تتاجر في سلعة واحدة، كما عرفت المغرب ثلاثة أنواع من الأسواق:

1- الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص61-63.

2- **المصدر نفسه**، ص ص 60-63.

- **النوع الأول:** الأسواق التي تصاحب الجيوش في غزواتها، وفي هذه الحالة تقام الأسواق قرب القواعد العسكرية.
- **النوع الثاني:** الأسواق الأسبوعية المنتشرة في مختلف أنحاء المغرب والبعض منها يخص التجار المتجولين.
- **النوع الثالث:** هي أسواق تخص المدن وتنظيمها لايختلف عن تنظيم المدن، حيث انفردت كل صناعة بناحية معينة.

2.1.3- أهم المراكز التجارية:

نشطت الحركة التجارية الداخلية في عهد المرابطين وذلك نتيجة الإزدهار الصناعي والزراعي الذي عاشته المنطقة خلال حكم المرابطين وصارت الأسواق التجارية تموج بحركة دائمة في البيع والشراء وفي نقل المتاجر من مدينة إلى أخرى في ظل الأمن والإستقرار الذي ساد المنطقة وفي مقدمة المراكز التجارية الداخلية إذ تنوعت باعتبارها عاصمة الدولة حيث أصبحت مركزا من المراكز التجارية الداخلية إذ تنوعت أسواقها، وصارت مركزا للتجارة الداخلية بين مدن الشمال والجنوب.

وأيضا في جنوب البلاد توجد عدة مراكز تجارية في مقدمتها" أغمات" هي مركز تجاري هام له اتصالاته بالمراكز التجارية الكبرى، ولقد كانت من أهم المراكز التجارية الداخلية في عصر علي بن يوسف، حيث كان تجارها يعدون القوافل التجارية المتجهة نحو السودان الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر الملون، والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر والأحجار وآلات الحديد والعطر[1].

1- الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص 59-62.

2.3- التجارة الخارجيـــــة:

كانت من نتائج نشاط الحركة التجارية في الداخل أن أصبحت البلاد مقصدا للتجار والقوافل من قريب وبعيد يأتون محملين بالبضائع المختلفة ويعودون منها وقوافلهم ممتلئة، فكان لذلك الأثر في رفع الحركة التجارية الخارجية.

1.2.3- الصادرات والواردات:

شهدت أسواق البلاد نشاطا في البيع والشراء، وعلى اكتفاء السكان بالسلع الأساسية المتوفرة، فإن الأسواق كانت تمتلئ بأنواع البضائع التي تأتي بها القوافل القادمة من مدن المغرب وبلاد السودان والأندلس، ونظرا لسياسة المرابطين و إخضاعهم لأقاليم مختلفة في بلاد المغرب والمغرب الأقصى خاصة، صارت البلاد ممرا خاصا لتجارة الصحراء، كما لعب الأسطول المرابطي دورا كبيرا في تأمين الموانئ وحماية الطرق البحرية فضلا عن عمليات الجهاد.

أ) الصادرات:

حظيت بلاد المغرب بثرائها الكبير في الإنتاج الزراعي والصناعي والمعدني فكان يفيض عن حاجات أهلها، فكانت تتولى تصدير العديد من ذلك وكان على رأس تلك الصادرات القطن والكمون والكروية والحناء والقمح والشعير وقصب السكر.

كما هو الحال مع بلاد السودان حيث صدر القمح والتمر والزبيب إلى مدينة أودغشت إلى جانب القطن الذي ينسجون منه ملابسهم، كما صدرت المعادن ومن أهمها النحاس المصبوغ إلى بلاد السودان.[1]

1- حماد فضل الله الصالحين صالح: **المرجع السابق**، ص ص 63-69.

وكان للتبادل التجاري المغربي الأندلسي في الوحدة السياسية الأثر البالغ في تنشيط التبادل التجاري بينهم خلال عصر المرابطين، فقد كانت تصدر للأندلس المعادن ومن أهمها النحاس وأيضا السكر السويسي إلى جانب الحبوب المغربية مثل القمح والشعير، كما صدرت إليها التمور من "سلجماسة" بالإضافة إلى الرقيق.

ب) الواردات:

ومن الواردات سروج الخيل والصوف والأغنام والماشية والفستق الذي جلب من قفصة، بالإضافة إلى الواردات التي كانت تجلب من بلاد السودان فتمثلت في معدن الذهب، حيث كان الذهب يستخدم في دور السكة وتضرب منه الدنانير التي يستخدمها التجار في التجارات والبضائع، فمعدن الذهب كان من أهم السلع القادمة إلى بلاد السودان، ومن الواردات أيضا العاج (أنياب الفيلة) وخشب الأبانوس والجلود والعنبر والطيب الذي يجلب من أودغشت، لم تقتصر الواردات على هذه البضائع فقط، فقد كان من بين الواردات الرقيق الذي أعتبر من أهم واردات بلاد السودان، كما كانت الأندلس تصدر الكثير من البضائع إلى بلاد المغرب وفي مقدمتها الزيت الذي كانت له أهمية كبيرة في حوض البحر المتوسط، بالإضافة إلى القطن[1].

ويتضح مما سبق أن التجارة في عصر المرابطين حظيت بنصيب وافر فقد كان الإمتداد الجغرافي للمرابطين الأثر في ازدياد نشاط الحركة التجارية وازدهارها وأدى إلى فتح منافذ متعددة لتسويق المنتجات الزراعية والصناعية حيث نشطت حركة الصادرات والواردات ونمت التجارة داخليا وخارجيا.

2.2.3- حركة التجارة البحرية:

1- حماد فضل الله الصالحين صالح: **المرجع السابق**، ص ص 63-71.

إن من بين العوامل التي ساعدت وساهمت في نجاح النشاط التجاري انفتاح الدولة المرابطية تجاريا على الدول والإمارات الأوروبية عن طريق الموانئ الشمالية والغربية في كل من المغرب والأندلس وفتحت أسواقا جديدة، أما تجارة السفن إذ أصبح بمقدور السفن أن ترد موانئ شرق الأندلس وأن تحمل من تجارة المغرب والسودان وما تشاء لها أن تحمل العاج والعنبر.

ومما ساعد على ازدهار التجارة الخارجية في عهد المرابطين نمو البحرية المرابطية فقد تظافرت عدة عوامل لإقبال الدولة على ركوب البحر على الرغممن طابعها الصحراوي منها: إستيلائها على الموانئ الساحلية المطلة على البحر المتوسط التي اضطلعت بدور بارز في صناعة السفن والمراكب، كما أن الصراع العسكري بين الغرب الإسلامي والمسيحي الذي كان قائما على العداء والتنافس، نبه الدولة إلى بناء أسطول ضخم لمواصلة الجهاد.

واستطاع المرابطون بعد استيلائهم على موانئ شرق الأندلس أن يبسطوا السيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

شهدت التجارة في القرن 6هـ/ 12م تراجعا وكسادا بسبب هيمنة الأساطيل النصرانيةعلى حوض البحر وتعرض التجار للقرصنة المسيحية[1].

كانت البحرية المسيحية في البحر المتوسط قد أخذت في التطور والنمو وذلك في القرن 11م بعد سقوط كل الجزر المتوسطية ماعدا البليار في يد المسيحين، وخلاصة القول أن التجارة الأندلسية بنوعيها الداخلي والخارجي، عرفت تطورا ملحوظا على غرار الصناعة والزراعة غير أن أزمة التجارة الخارجية أثرت على أوضاع التجارة الداخلية مما أسفر عن

1- الصمدي محمد سعيد: **حركة التجارة البحرية بين المغرب والأندلس أيام المرابطين**، أعمال ندوة مضيق جبل طارق في علاقات المغرب الدولية، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 2001م، ص ص 100-103.

كساد تجاري كبير، وقد فسر أحد الباحثين هذا التراجع إلى عوامل منها: تفوق الأسطول المسيحي مقابل تراجع التجارة المرابطية.[1]

4. النظام المالي:

إن نقطة الإنطلاق في السياسة المالية المرابطية تتمثل في محاولة تطبيق الكتاب والسنة في ميدان السياسة الجبائية، وهي محاولة منسجمة مع معطيات الواقع السياسي والإقتصادي، ومع منطق الدعوة ذاتها من جهة ثانية.

أولا: لأن دعوة مهدي المرابطين تقوم على أسس المذهب المالكي ويعتمد أساسا على نص الكتاب والسنة.

ثانيا: أن كل الدعوات تجمع على أن عبد الله بن ياسين لما خرج من مرحلة الاستعداد، وكسب الأنصار إلى المرحلة العلمية والشروع في تنظيم شؤون المناطق التي أصبحت تحت سيطرته، أمر أصحابه بأخذ الزكاة والأعشار، وإسقاط ما سوى ذلك من المغارم المحدثة، وكان عبد الله بن ياسين يأمر أصحابه بالصلاة والزكاة، وأداء العشر، واتخذ بيت المال يجمع فيه ذلك.

يبدو أن السياسة الجبائية قد استمرت في عهد يوسف بن تاشفين، ومبادئ هذه السياسة الجبائية لم تحترم طوال العصر المرابطي خلافا لما أشار إليه النص المذكور فقد اضطر الأمراء المرابطون إلى فرض أنواع من المكوس والمغارم متنافية مع الكتاب والسنة، فقد فرض يوسف بن تاشفين غرامة أي ضريبة على اليهود سنة 464هـ وهي ضريبة تجاوزت الجزية المفروضة على أهل الذمة، أن موارد الثروة الذهبية التي تجمعت بأيدي المرابطين تتجاوز حجم الصدقات والأعشار وتتجاوز أيضا المكوس والقيالات الإضافية، إن مصدرها

1- الصمدي محمد سعيد: **المرجع السابق**، ص 103.

يعود إلى سيطرة المرابطين على جميع المسالك الغربية الرابطة بين المغرب والأندلس من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى.

وقد عثر على كميات كبيرة من الدنانير المرابطية في شمال البلاد الإسبانية وفي غرب فرنسا، وقد ضرب المرابطون عملة جديدة إبتداء من عهد الأمير أبي بكر بن عمر الذي ضرب دينارا لسنة 450هـ/ 1058م بسلجماسة باسم الخليفة العباسي المستظهر.

واستمر ضرب العملة في سنوات مختلفة وفي مدن متعددة كما أشرنا، وكانت هذه الدنانير في عهد يوسف بن تاشفين وعهد ابنه علي نذكر اسم الخليفة العباسي[1].

وفي النهاية نستطيع القول أن السياسة المالية التي تحدثنا عن أبرز مميزاتها تكشف عن الدور الإقتصادي الخطير التي قامت به الدولة المرابطية على الرغم من توالي الأحداث العسكرية من جهة، واستمرار دور ذهب السودان في الحياة الإقتصادية في المغرب والأندلس من جهة ثانية وأخرى.

ثالثا: الوضع الاجتماعي

شهد الغرب الاسلامي خلال القرن 5هـ فترة مزدهرة على العموم وخاصة بلاد المغرب منذ أن خرج المرابطين من الصحراء، وإستيلائهم على المغرب ثم الأندلس بعد أن قضوا على الزيانيين خلال قيام دولتهم دولة المرابطيين، حيث تميز الوضع الإجتماعي بحالة من التمايز والتطابق الإجتماعي، سواء طبقة الملثمين الذين يعتبرون الطبقة الحاكمة إلى جانب البربر الغالبية العظمى التي تشكل منها المرابطون، هذه الفسيفساء الإجتماعية المختلفة أنتجت عادات وتقاليد مختلفة كان لها تأثير على المجتمع وتركت بصماتها من الاحتفالات والأحزان، وذلك من خلال الأطعمة والمشروبات المتنوعة المقدمة فيها، وأيضا عرف

1- الحبيب الجنحاني: **المجتمع العربي الإسلامي الحياة الإقتصادية والإجتماعية**، منتدى مكتبة الإسكندرية، مطابع الكويت، 2005م، ص ص 223-227.

المجتمع في عهد المرابطين أنواع من الحلويات كالإسفنج والكعك بالإضافة إلى الملابس وأنواع الزينة والحلي[1].

كما كانت الحياة الزوجية في الأسرة داخل المجتمع المرابطي حياة تتجاذبها عوامل التلاحم والإنسجام بين الزوجين كما لاننكر أنه لاتوجد مشاكل داخل الأسرة في الدولة المرابطية، حيث عرفت الدولة نزاعات متعددة كشفت عنها النصوص من أسبابها المتمثلة في الورث والإمتيازات، كما كانت هناك عادات ومعتقدات سادت في العصر المرابطي كالأطعمة المتنوعة حسب المستوى المادي والمعيشي للمرابطين، كما كان هناك عادات أخرى كالأزياء والملابس المعتمدة على مجموعة من القيم والمعايير الإجتماعية، بالإضافة إلى الإحتفالات والمواسم والمناسبات الرسمية والدينية التي تميزت بالبذخ والإسراف والكثرة في الإنفاق خلال العهد المرابطي[2].

كان المرابطون (الملثمون،اللمتونيون) يمثلون الطبقة الحاكمة، وإتخذوا من اللثام شعارا يميزهم عن غيرهم من القبائل، و قال ابن عبدون في هذا الصدد:"يجب ألا يلثم الصنهاجي واللمتوني واللمطي، فإن الخدم والعبيد لا يجب أن يلثمون على الناس ويهابونهم ويأتون أبوابا من الفجور كثيرة "، وهذه العبارة تؤكد ما كانت تتمتع به الطبقة الحاكمة والفقهاء والقضاة وعلماء الدين بمكانة سامية في المجتمع المغربي والأندلسي في زمن المرابطين ولعل ما يرجع ذلك إلى دورهم الكبير في قيام دولة المرابطين أو إلى التعاليم الراسخة التي وضعها الفقيه المالكي عبد الله ابن ياسين، بالإضافة إلى ذلك مكانة المرأة في المجتمع حيث تمتعت بمكانة رفيعة ودرجة عالية فكانت الأكثر ظهورا في مجال الحياة العامة، وربما يرجع ذلك

1- زينب محمد حامد محمد أحمد: "**الحياة الاجتماعية في المغرب الاسلامي خلال العهد المرابطي** "، عدد خاص، مجلة مدارات تاريخية، (أفريل 2019م)، ص ص110-115.

2- إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس في العصر المرابطي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993م، ص37.

إلى أن قيام المرابطين كان في الصحراء والمرأة الصحراوية كانت بجدها وعملها المتواصل لها دورا كبير، وإعتبرها البعض الركن الأساسي في إقامة وبناء الحياة الإجتماعية والإقتصادية بفضل أعمالها الحرفية والتقليدية للدولة المرابطية[1].

لقد إنتشرت فكرة الزواج المختلط أي بين العرب والبربر في المغرب والأندلس فهناك نازلة تشير إلى زواج تاجر قيسي ميسور الحال من إمرأة من بربر أوربة، وكان أهل المغرب يحرصون على ألا تتزوج اليتيمة إلا بعد البلوغ وبموافقتها.

إهتم أهل المغرب والأندلس بتوفير الرعاية الإجتماعية والصحية للسكان عامة وللفقراء والمساكين والمحتاجين خاصة كما لم ينسوا اليتامى بالعناية والإهتمام بهم، كما كان للأوقاف دور بارز وكبير في توفير أموال وإحتياجات دور الرعاية الإجتماعية من خلال التكفل بهم[2].

لقد كان الأندلسيين أصحاب ذوق خاص في المأكل والملبس والمشرب، فقد بلغوا درجات كبيرة في التألق والشخصية، فقد كان اللباس الأندلسي رمزا للرقي الحضاري والفكري، حيث إرتقوا وأبدعوا في صنع اللباس بحيث كانوا يصنعونه من الحرير الخالص والكتان، فقد كانت النساء الأندلسيات ترتدين عند خروجهم جلابيب ذات سروايل طويلة، وأساور في الأرجل من الذهب والفضة، إمتد التأثير الأندلسي خاصة الطعام حيث إنتقلت العديد من الأطعمة الأندلسية إلى العدوة المغربية (بلاد المغرب)[3].

1- حمدي عبد المنعم محمود حسين: **المرجع السابق**، ص ص331،328،325.

2- كمال السيد أبو مصطفى: **جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب،الإسكندرية، 1996م، ص ص 17-18.

3- عبد الكريم طهير قدور وهراني: "**أصداء من الحياة الإجتماعية الأندلسية ببلاد المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين (448-667هـ)**"، مجلة جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، (2019م)، ص 175-178.

لقد ظهرت طبقة جديدة من الملثمين وأثرت على الحياة الإجتماعية في المغرب والأندلس طبقة أوطائفة حاكمة ذات قوة وسلطان يزاولون التجارة والصناعة والزراعة، وأصبحت أصحاب الدولة والسلطان، بالإضافة إلى طبقة أخرى ذات قوة ونفوذ ألا وهي طبقة الفقهاء والقضاة ورجال الدين، وليس هناك شك في أن الفقهاء والقضاة كانوا موجودين في كل عصر وفي كل زمان ولكنهم في عصر الدولة المرابطية ظهرت لهم قوة وسلطان وجاه كبير،ولم يكن الحاكم يوسف وأبناءه يجلس إلا ومعه الفقهاء والقضاة والعلماء، وقد صاحب قيام دولة المرابطين ظاهرة إجتماعية غير مألوفة وهي ظهور المرأة الصنهاجية في المجتمع حيث شاركت في المجالس العامة، وتمتعت بنوع من الحرية والمساواة، بالإضافة إلى طبقة أخرى وهي أهل الذمة من النصارى واليهود، ويبدو أن الحياة الإجتماعية في المغرب قد تأثرت في الأثناء بالعديد من المؤشرات فقد كان العديد من الأدباء والشعراء والمغنون يعبرون البحر إلى العدوة الأخرى ويمدحون الأمراء[1].

كما أدى إزدهار التجارة في بلاد الملثمين أي المرابطين إلى ظهور طبقة من الأثرياء تجمعت عندهم الأموال، وعلى رأس هذه الطبقة الثرية الأمراء الذين إستاثروا بالحكم وسيطروا عليه وحافظوا على مصالحهم، وكانت هذه الطبقة مستعدة لمقاومة من يهدد مصالحها، إحتكرت هذه الطبقة الأراضي الزراعية والواحات ومعلوم لدى الدارسين والباحثين في المجتمعات البشرية أنه عندما تظهر طبقة ذات ثراء فاحش ينتج عنها ظهور طبقة من الفقراء والمساكين، وهذا ما حدث في دولة المرابطين، حيث نجد عامة الناس قد أصابهم الفقر وظهرت في المجتمع كثرة العبيد الذين إستخدموا وعملو في مناجم الملح، وجلهم كانوا أسرى في الحروب التي وقعت بين الملثمين والوثنيين، وقد إرتفع شأن العبيد فيما بعد وكانوا فرقة خاصة في جيش المرابطين، وقد إشتهرت المرأة الملثمة بالجمال وهي سمراء اللون، كما

1- حسين أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، المرجع السابق، ص ص413-414.

انتشرت فيهم عادات سيئة ودخيلة عن المجتمع المرابطي التي تتنافى مع الدين الإسلامي الحنيف، بل هي عادات من الجاهلية ومن أبشعها الزواج بأكثر من أربع زوجات وعادة الزنا، وقد ابتعد المجتمع المرابطي عن غاية العقيدة الإسلامية واضطربت تصوراته وانحرف عن الصراط المستقيم بعدما كان أجداد المرابطين يؤمنون بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، وقد اشتهر بعض ملوك المرابطين بمحاربة الوثنيين ونشر الديانة الإسلامية بين مناطق حكمه والمناطق المجاورة والتابعة لها[1].

كما أنه يجب أن لا يلثم الصنهاجي واللمتوني واللمطي، فإن الحشم والعبيد هم من لايجب أن يلثم، يلثمون على الناس ويهابونهم ويأتون أبوابا من الفجور بسبب اللثام، لأن العبيد والحشم إذا تلثم وغير شكله حسبته رجلا مثيلا فيجري إكرامه ومحبته، بالإضافة إلى أن لايمشي أحد بالسلاح في المدينة فإن فعل ذلك كان داعيا للفساد لاسيما البربر فإنهم قوم إذا غضبوا قتلوا وجرحوا عبيد المرابطين، إذ تلثمو فتكون تلك علامة يعرفون بها مثل أن يتلثمو بخمار أو شبه ذالك وأيضا الحشم والأتباع يكون شكلهم غير شكل المرابطين وهذا فيه منافع وخير كثير للمرابطين بحيث يعرف من ينتمي للمرابطين عن غيرهم[2].

يظهر أسفل سلم الهرم الإجتماعي العبيد رغم طمس أخبارهم من قبل المؤرخين فإن مجموعة من النصوص الفقهية والأمثال الشعبية لا يستهان بها تمكن الباحثمن إماطة اللثام عن وضعيتهم في العصر المرابطي، فمن خلال رصد مختلف النصوص يتضح أن أهم العوامل التي أدت إلى تواجد العبيد في المغرب والأندلس، تكمن في إحتياج الطبقة الخاصة والوجهاء إليهم داخل البلاط لإستخدامهم كحرس وأدلاء للقوافل التجارية، واستعمالهم في الحروب ومثال ذلك يوسف بن تاشفين مجموعة من العبيد من السودان، لا شك أن الحروب

1- محمد علي الصلابي: **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي**، المرجع السابق، ص ص 18،19.

2- ليفي بروفنسال: **ثلاث رسائل أندلسية في أداب الحسبة والمحتسب**، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص 29.

التي خاض غمارها المرابطون حولت العديد من الأحرار إلى عبيد وأصبح رقيق المرابطين يسمى عبيد المخزن، شكلت أسواق النخاسة سببا هاما في انتشار العبيد، وتزخر كتب الحسبة بمجموعة من أسواق للجواري والعبيد[1].

رابعا: الوضع الديني والفكري

أما بالنسبة للوضع الديني فهو أيضا مرتبط بالحالة السياسية للدولة كباقي مجالات الحياة، فكانت بلاد المغرب تغرق في بحر الفوضى والإضطراب وعدم الإستقرار السياسي[2]، كان ذلك ينعكس على الوضع الديني، وكان سكان بلاد المغرب وخاصة سكان بلاد الصحراء يعيشون جهلا وضعفا دينيا وفكريا، وعدم معرفتهم بأحكام الدين الإسلامي، وهناك من قال أنهم يعيشون أكثر جاهلية لا يعرفون سوى الشهادتان، لكن بعد قيام دولة المرابطين بقيادة عبدالله بن ياسين وازدهرت وتطورت الدولة في عهد يوسف بن تاشفين، وابنه علي بن يوسف على جميع مجالات الحياة، ومنها الجانب الديني، فقد ساد المذهب المالكي وكان هو مذهب القضاء والتشريع والحكم، وكان المذهب المالكي يعتمد عليه في كل صغيرة وكبيرة في مختلف جوانب الحياة[3]، أما العقائد والأصول والفروع فقد تبنوا عقيدة أهل السنة والجماعة وعدم التفصيل فيها وعدم الإجتهاد في الدين[4]، والإعتماد على النصوص رغم ظهور مسائل وقضايا فقهية وأحكام تخص الشريعة الإسلامية حيث يذكر صاحب المعجم فيقول:" ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير

1- إبراهيم القادري بوتشيش: **مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص ص194-195.

2- إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)**، المرجع السابق، ص ص 13-15.

3- مبارك محمد الميلي: **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، تص: محمد الميلي، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ت)، ج2، ص 284.

4- الحسين بن محمد الشواط: **القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته**، دار القلم، دمشق، 1999م، ص 16.

المسلمين تقبيح علم الكلام وكرامة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شئ منه، وأنع بدعة في الدين وربما أدى أكثره إلى اختلاف في العقائد في أشباه لهذه الأقوال"[1].

ومما يؤكد تعزز مكانة الدين هو إكرام وإعلاء طبقة رجال الدين والفقهاء من طرف الأمراء في الدولة المرابطية، وهو قيام الأمراء بتشجيع العلم والعلماء، وإعطاء الهدايا والتحفيزات للقراء ورجالات الدين، يقول ابن الأثير في أحداث سنة (500هـ/1106م) في ذكر وفاة يوسف بن تاشفين" وكان حسن السيرة عادلا يميل إلى أهل العلم والدين ويكرمهم ويصدر على رأيهم"[2].

وينقل صاحب الحلل الموشية قول الفقيه ابن العربي قوله:" المرابطون قاموا بدعوة الحق بنصرة الدين وهم حماة المسلمين والمجاهدون دونهم[3]".

ويذكر صاحب المعجب عن علي بن يوسف فيقول" أنه في عهد علي بن يوسف بن تاشفين بلغ الفقهاء مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم"[4]، ويقول صاحب الإحاطة عن تاشفين بن علي أمير غرناطة:" وأكرم الطلبة وكان له يوم في كل جمعة يتفرغ فيه للمناظرة"، ومما سبق يتبين حالة الدين وازدهاره وقيام الأمراء والحكام بتشجيع وتنظيم كل أمر له علاقة بالدين والعلم والعلماء وقد أخذ بالتطور في عصر القاضي عياض[5].

1- عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، (د ط)، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، ص 131.

2- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، تح: محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، (د ب)، 2003م، مج9، ص 99.

3- مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار، عبدالقادر زمانه، دار الرشاد الحديثة، 1979م، ص 140.

4- عبد الواحد المراكشي: **المصدر السابق**، ص 130.

5- ابن الخطيب: **الإحاطة بأخبار غرناطة**، الموسوعات، مصر، 1901م، ص 287.

والجانب العلمي فكان له هو الآخر نصيب حتى كانت المجالس العلمية في عهد المرابطين تضاهي مجالس بني العباس، يقول المراكشي:" فانقطع إلى أمير المسلمين بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له ولإبنه من أعيان الكتاب فرسان البلاغة مالم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار"، وهذا من دلائل رقي الحياة الفكرية والعلمية في عصر القاضي عياض، فقد ازدهرت وكثر العلماء والفقهاء، وانتشرت التصانيف والرحلات العلمية والكتب وكثرة مجالس العلم والعلماء.

بالنسبة للحياة الفكرية والعلمية فلم يكن لها نشاط كبير، بحكم أن العلماء وطلبة العلم والفقهاء في تلك الفترة (دولة المرابطين) اشتغلوا بكتب فقه الإمام مالك وأصولها وفروعها وقل البحث والإشتغال بعلوم أخرى كعلم الفلسفة وعلم الكلام وعدم الإهتمام بكتب الفكر لإهتمام المرابطين بكتب الفقه المالكي، عكس ماكانت الدولة الموحدية فقد أخذ الموحدين مباشرة من كل كتب التفاسير والسنة النبوية، دون الإقتصارعلى مذهب معين[1].

أما فيما يخص الفقه والعقائد والأصول فيثبتونها على طريقة أهل الكلام والأشاعرة وهذا يعود إلى تأثر صاحب الدعوة والدولة الموحدية محمد بن تومرت[2] خلال رحلته المشرق بأعلام الفكر وعلم الكلام والدين وازدهرت الحياة الفكرية والعلمية واشتغل الناس بكتب علم الكلام والفلسفة والأدب[3].

1- مبارك محمد الميلي: **المرجع السابق، ص ص 306 -308.**

2-ابن أبي زرع الفاسي: **المصدر** السابق، ص ص 172-175.

3- القلقشذي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (د ط)، مطبعة العامرية، القاهرة، 1915م، ص 191.

الـــفصل الأول

التعريف بشخصية القاضي عياض وكتابه

أولا: حياة القاضي عياض

ثانيا: مؤلفات القاضي عياض

ثالثا: محتوى الكتاب ومكانتة العلمية (ترتيب المدارك)

أولا: حياة القاضي عياض

1. إسمه ونسبه

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبدالله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي وهو من أهل سبتة، وأصله من مدينة بسطة[1]، هو الإمام المجتهد القاضي، أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى اليحصبي السبتي، وصفه ابن الخطيب في الإحاطة بأنه سبتي الدار والميلاد، وأن أجداده كانوا قد استقروا قديما بالأندلس بجهة بسطة، وأنهم تنقلوا بين فاس والقيروان، وأن جده عمرون كان رجلا من أصل القرآن، وأنه انتقلإلى سبتة بعد سكن مدينة فاس[2].

هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن أحمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، كان إمام دقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة ولم العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف بعض التصانيف المختلفة[3].

هو الإمام الحافظ القاضي أو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبدالله بن عياض اليحصبي السبتي[4].

والبعض يقول: أنه الإمام العلامة الحافظ الأوحد شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السني

1- شهاب الدين الخفاجي : **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض**، ض: محمد عبدالقادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، (د ت)، ص7.

2- عادل يحي عبد المنعم: "**مصنفات العلم وشيوخه في سبتة من خلال برنامج القاضي عياض بن موسى اليحصبي**"، مجلة الشرق الأوسط، ع4، (د.ت)، ص 369 .

3- لبن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1972م، مج3، ص 483 .

4- البشير علي حمد الترابي: **القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ورواية**، دار ابن حزم، (د ب)، 1997م، ص 65.

المالكي[1].

وفي مصادر أخرى القاضي عياض هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبدالله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي دفين مراكش، يلتقي عياض بهذا النسب بالإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وأن عياض من أشهر أعيان المذهب المالكي وقد لقب عياض في بعض المصادر: العلامة، شيخ الإسلام، الإمام، الفقيه، المجتهد الأصولي، الأديب، المفسر، الشاعر، علامة المغرب، المحقق، الزاهد[2]، كما قال الشيخ الإمام الرحال أبو عبدالله محمد بن جابر الوادي الملقب بشمس الدين رحمه الله:

هو عياض بن موسى بن عمرو بن عياض بن محمد بن عبدالله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، وبالجملة فما ذكرناه أولا في تعداد آباء القاضي عياض رحمه الله، هو الذي عليه المعول اعتمد ولده ابن الملجوم، ابن بشكوال، ابن جابر ابن الخطيب ونجد أن لقبه يحمل عدة أسماء ومعاني هي:

اليحصبي: بضم الصاد وكسرها، وزاد بعضهم فتحها، ونحوه لابن خلكان، واقتصر بعضهم على الكسر قائلا: وهو الصواب، بناءا على أنها أغنى الفيلة، يحصب بكسر الصاد، كثعلب ويحصب من حمير، وهو يحصب بن مدرك حسبما هو مذكور في كتب الأنساب.

السبتي: نسبة إلى سبتة مدينة بساحل بحر الزقاق مشهورة واختلاف في تسمياتها فقيل لإنقطاعها في البحر وقيل أن مختطها هو سبت بن سام بن نوح[3].

1-القاضي عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج1، ص 4.

2-الحسين بن محمد شواط: **القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته**، ص ص 32-34.

3- المقري التلمساني: **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م، ص ص 23-29.

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبدالله بن موسى بن عياض اليحصبي، لمستقر أجداده قديما جهة بسطة إحدى مدن جنوب الأندلس، ومنها انتقلوا إلى المغرب حيث استقروا أول الأمر بمدينة فاس، ثم تركوها إلى سبتة التي استحسنوا سكانها[1].

هو الإمام الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن عياضبن محمد بن عبدالله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ونقل أبو العباس أحمد المقري عن أبي القاسم بن السلجوم تلميذ القاضي عياض أن القاضي عند انصرافه من سبتة قاصدا الحضرة المراكشية زارهم في دارهم في فاس فسألهم ابن السلجوم عن نسبه فقال للقاضي إنما أحفظ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض، وأحفظ بعد ذلك محمد بن عبدالله بن موسى بن عياض ولا أعرف أن محمدا هذا أبو عياض أو بينهما أحد.

ويرتفع نسب عياض إلى يحصب بن مالك بن زيد ويحصب أخوذي أصبح الحارث بن مالك بن زيد الذي ينتمي إليه نسب الإمام مالك بن أنس الأصبحي.

وهذا النسب انتسبه أن عياض عربي الأصل والسلالة ويرتبط بصلتين القريب والنسب، أي الانتساب إلى قبيلة حمير من عرب اليمن، وصلة الاقتداء بمذهب الإمام مالك، وكان عياض من أبرز أعلامه وأشهرهم[2]، كما نقل ابنه محمد، وأبو القاسم السلجوم كلاهما عن القاضي عياض أنه: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبدالله بن موسى بن عياض اليحصبي، وهو نسب يرتفع كما ترى إلى يحصب بن مالك بن زيد، ويحصب أخوذي الأصبح الحارث بن مالك بن زيد الذي ينتهي نسب إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وهكذا يمت القاضي عياض إلى الإمام مالك بصلتين:

1-حسن الوراكلي: **أبو الفضل القاضي عياض السبتي(ثبت بيبلوغرافي)**، (د ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص11.

2-القاضي عياض: **التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة**، تح: محمد الوثيق، عبدالنعيم حميتي، دار ابن حزم، بيروت، 2011م، مج1، ص ص 13-14.

- صلة المذهب المالكي الذي دان سكان المغرب ومايزالون وكان عياض من أبرز أعلامهم وأشهرهم.
- صلة القرب والانتساب إلى قبيلة حمير من عرب اليمن ذات التاريخ المجيد في الحضارة الإسلامية، وكان منزل أجداده جهة بسطة التي تبعد 123 كيلو متر نحو الشمال الشرقي من غرناطة ومنها انتقلوا إلى فاس ثم إلى سبتة[1].

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي[2].

2. مولده:

كان مولده بسبتة في النصف من شهر شعبان 476هـ/1083م، توفي بمراكش يوم الجمعة السابع من جمادى الأخرى، وقيل في شهر رمضان سنة 544هـ/1149م، دفن بباب إيلان داخل المدينة[3].

أجمع المترجمون على أن مولد القاضي عياض على أن مولده كان في سنة 476هـ/1083م، وعلى وجه التحديد في منتصف شهر شعبان، يقول بشكوال كتب لي القاضي عياض بخطه يذكر أنه ولد في منتصف شهر شعبان سنة 476هـ/1083م، وهذا الإتفاق ليس غريبا بالنسبة لمولد القاضي عياض، فهذا يلاقيه الدارس لحياة هذا الإمام، فالكثير من تواريخ ارتحاله ومقامه ودخوله بعض المدن محددة ويكاد يتم إجماع المترجمين

1-القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص ص 6-7.

2- القاضي عياض: **فهرست شيوخ القاضي عياض"الغنية"**، تح: ماهر زهير جراح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص2.

3- ابن خلكان: **المصدر السابق**، ص 485.

عليه، مما يدل على سمو مكانته وسعة شهرته، وقد ولد القاضي عياض في التاريخ المذكور بسبتة[1].

اتفقت كتب التراجم على أن مولد عياض كان في سنة 476هـ/1083م، وعلى وجه التحديد في منتصف شهر شعبان وقد كتب ذلك بخطه إلى ابن بشكوال وكان مولد في سبتة التي انتقل إليه جد أبيه عمرو من مدينة فاس التي دخلها أجداده مرتحلين إليها من الأندلس، وقد انتقل عمرو إلى مدينة سبتة ليكون قريبا من قرطبة التي ارتحل إليها أخواه القاسم بن موسى بن عياض وعيسى وأعجبوا بسبتة[2].

ولد القاضي عياض بسبتة وهو أندلسي الأصل كان أجداده بالأندلس ثم انتقلوا إلى مدينة فاس واستقروا بها وبعد ذلك بالقيروان وكان مولده في شعبان476هـ/1083م[3].

ولد القاضي عياض في مدينة سبتة ببلاد المغرب منتصف شعبان سنة 476هـ/1083م، كما أنه ينتمي إلى عائلة كريمة الشمائل بالعلم معروفة، وكان أجداده قد قدموا من المشرق وكان لهم استقرار في القيروان[4].

ولد أبو الفضل عياض سنة 476هـ/1083م، وتحول جدهم من الأندلس إلى فاس ثم سكن سبتة[5].

إن القاضي عياض من أعلام القرن السادس الهجري ولد بسبتة سنة 476هـ/1083م[6].

1- البشير علي حمد الترابي: **المرجع السابق**، ص68-69.

2- القاضي عياض: **التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة**، ص 15.

3- القاضي عياض: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تح: عامر الجزار، دار الحديث، (د ب)، 2004م، ج1، ص 5.

4- الحسين بن محمد شواط: **القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته**، ص 34.

5- القاضي عياض: **ترتيب المدارك، ح1**، ص 4.

6- كريم أمصنصف: **تقريب وتذهيب الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض**، تح: الشيخ عبد السلام الحصين، ن2، (د د ن)، (د ب)، (د ت)، ص 9.

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض القاضي العلامة عالم المغرب أبو الفضل اليحصبي السبتي، الحافظ السبتي الدار والميلاد، أندلسي الأصل، ولد سنة 476هـ/1083م، قال ابن قرحون قال ولده محمد كان أجدادنا في القديم بالأندلس ثم انتقلوا إلى مدينة فاس، وكان لهم استقرار بالقيروان[1].

3. نشأته وتعليمه:

إن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض عالم المغرب أبو الفضل اليحصبي السبتي الحافظ أندلسي الأصل، تحول جده إلى فاس ثم سكن سبتة أجازه القاضي أبو علي الغساني وكان يمكنه السماع منه وهو ابن عشرين سنة وإنما دخل القاضي عياض إلى الأندلس بعد موته فأخذ عن محمد بن حمد بن أبي علي بن سكرة وأبي الحسين ابن سراج وأبي محمد بن عتاب والقاضي أبي عبدالله محمد بن عبدالله المسيلي وأخرون وصنف التصانيف التي سارت بها الركبان واشتهر اسمه وضاع صيته، وقال ابن بشكوال: هو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم استقص بسبتة مدة طويلة حمدت سيرته فيها ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة، فلم تطل مدته فيها وقدم علينا قرطبة فأخذنا عنه، وولى القضاء وله خمس وثلاثون سنة، فسار بأحسن سيرة كان من غير ضعف وكان صليبا في الحق، كما كان له كتاب الشفاء في شرف المصطفى وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك، وكتاب العقيدة وشرح الحديث أم زرع وكتاب جامع التاريخ، كما قال القاضي شمس الدين ابن خلكان هو: إمام أهل الحديث في وقته وأعرف الناس بعلومه بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وقال من تصانيفه: الإكمال في شرح مسلم، والمعلم للمازري ومشارق الأنوار في تفسير غرائب الحديث، وكتاب التنبيهات وفيه فوائد وغرائب، وروى عنه خلق

1- السيوطي: **مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض**، تح: الشيخ سمير القاضي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، (د ب)، 1989م، ص 9.

الكثير منهم عبدالله بن محمد الأشيري وأبو جعفر ابن القصير الغرناطي وأبو القاسم خلق بن بشكوال وأبو محمد بن عبيد الله الحجري، ومحمد بن حسن الجابري وأخرون[1].

كما قدم القاضي عياض إلى الأندلس طالبا للعلم فأخذ بقرطبة عن أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وأبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج وعن شيخنا أبي محمد بن العتاب وغيرهم، كما أنه أخذ بالمشرق عن القاضي أبي علي حسين بن محمد الصدفي كثيرا وعن غيره، كما ليهتم بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم، وجمع الحديث منهم وله عناية كثيرة به، كما اهتم بجمعه وتقييده، وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء والفهم واستقص ببلده مدة طويلة، حمدت سيرته فيها، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة فلم يطل أمده بها ثم قدم إلى قرطبة في ربيع الأخر سنة 531هـ/1136م، وأخذ منه ما عنده من معارف وأفكار[2].

نشأ القاضي عياض على عفة وصيانة، محمود الأقوال والأفعال، طالبا للعلم حريصا عليه مجتهدا فيه، وكان كثير المجالسة لدى الشيوخ، وكان من حفاظ كتاب الله عز وجل، وكان من أئمة وقته في الحديث والفهم وكان أصوليا متكلما وكان بصيرا بالنوازل والأحكام، أخذ عن بعض الأشياخ كالقاضي أبي عبدالله بن عيسى والخطيب ابن القاسم والفقيه أبي إسحاق ابن الفاسي، ثم رحل إلى الأندلس وكان خروجه من سبتة في يوم الثلاثاء منتصف جمادى الأول فأخذ بها عن ابن عتاب وابن حمدين وابن الحاج وغيرهم، ثم خرج منها إلى مرسية فوصل إليها يوم الثلاثاء الثالث من مفر فوجد أبي علي الحافظ الحسين بن محمد الصدفي، ولقي في رحلته هذه بعض جماعة من أعلام الأندلس وأجازه أبو علي الجياني وشريح وابن شبرين ثم وصل إلى غرناطة ونقل خطة قضائها ثم ولى قضاء سبتة ثانية في

1- الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، تح: عبد الرحمان بن يحي المعلمي، ط16، دار الكتب العلمية، الهند، 1958م، ج4، ص ص 1304-1306.

2- ابن بشكوال: **الصلة**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1989م، ص ص 660-661.

أخر عام 539هـ/1144م، ثم بادر بالمسابقة إلى الدخول في نظام الموحدين والإعتصام بحبلهم وشكره أمير المؤمنين، ثم انصرف وأقام على تولي الأحكام بين الناس[1].

كان القاضي عياض عالما بالحديث وعلومه، والتفسير والأصول وله تبحر في علوم العربية حافظا لمذهب مالك وشاعرا أديبا، رحل إلى الأندلس سنة 509هـ/1115م، طلبا للعلم فأخذ عن علمائها منهم القاضي أبي عبدالله محمد بن حمدين وأبي الحسن بن سراج، وأبي محمد بن عتاب بادر في الدخول إلى طاعة الموحدين لما ظهر أمرهم لكن سرعان ما أقل واضطربت أمورهم، فاضطربت أمور القاضي عياض ثم لحق بمراكش مشردا وهناك كان وفاته، كان له عدة تصانيف وكان مهتم بها منها: اكمال المعلم في شرح الصحيح مسلم، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وتفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم، والتنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة، وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك وغيرها من المؤلفات[2].

كان القاضي عياض مشاركا وفعالا في علوم كثيرة كالحديث والسيرة والتفسير والتاريخ والأدب واللغة وله في هذه العلوم مؤلفات كثيرة وقد تقلد الإفتاء والقضاء وخلف أثار فقهية في كتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة، وله مباحث فقهية في إكمال المعلم في شرح مسلم، وله رسائل مستقلة في مواضيع فقهية معينة، وإذا كان القاضي عياض قد كان في الجملة بوصفه محدثا وأديبا ومؤرخا، فإنه لم يدرس بعد بوصفه فقيها، وإذ كانت هذه النوازل تمثل مظهرا من مظاهر ثقافته الفقهية، فإن عمق هذه الثقافة الفقهية يوجد في كتاب التنبيهات.

1- عبد الله محمد بن القاضي عياض: **التعريف بالقاضي عياض**، تح: محمد بن شريفة، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1982م، ص ص 4-12.

2- القاضي عياض: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ص ص 5-6.

وقد استوعب القاضي عياض في هذا الكتاب جهودا من سبقه في خدمة المدونة وأربى عليهم بدقة المنهج وحسن التنظيم وجاء صنيعه في التنبيهات شبيها بصنيعه في المشرق من حيث الابتكار والتفوق، كما تميزت تنبيهات القاضي عياض بعلو الكعب، وكانت في خدمة أهم أمهات الفقه المالكي[1].

في منتصف جمادى الأولى عام 507هـ/1113م، رحل القاضي عياض إلى الأندلس وأخذ من أعلامها والتقى أبي علي الصدفي بمرسية وسمع عليه الكثير ولازمه، وحمل عن عدد كبير من شيوخ العلم والرواية في الأندلس ثم ما لبث أن عاد إلى سبتة فجلس للمناظرة والمشاورة، ثم انتقل إلى غرناطة ثم ولى قضائها فأقام بها مايقرب من عام إلا أنه سعى يوسف بن تاشفين بصرفه عنها، فعاد مرة أخرى إلى سبتة وتولى قضائها، وسارع إلى مبايعة الموحدين بعد أن تولوا أمور المغرب والأندلس[2].

يعد عياض في طليعة الأوائل من علماء المغرب الذين كثر ذكرهم على اختلاف الأجيال والأمصار، وقد عرف به ابنه محمد في رسالة موجزة ومركزة، ثم قال: نشأ أبي على عفة وصيانة مرضي الحال، محمود الأقوال والأفعال موصوفا بالنبل والفهم والحذق، طالبا للعلم أيضا عليه، مجتهدا فيه وكان كثير المجالسة للشيوخ، وكان شاعرا وأديبا وحافظا لكتاب الله سبحانه[3].

يعتبر القاضي عياض أحد أئمة الرواية والدراية الذين ضاع صيتهم بالمغرب ولقد شهد عصره أشد فتنة جلت بالمغرب على يد قرينه ابن تومرت، وكلاهما ولد في عصر واحد وفي وطن واحد، لكن كانت هناك الكثير من المؤامرات، وإن من يطالع مؤلفات القاضي عياض

1- القاضي عياض وولده محمد: **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، تح: محمد بن شريفة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص ص 21-22.

2- القاضي عياض: **لغنية**، ص ص 6-7.

3- القاضي عياض: **الألماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث- المكتبة العتيقة، تونس، 1970م، ص ص 3-5.

يدرك أنه كان المنتهى في ضبط الكتاب والغيرة على العلم وسهل الإنتصاف، وقد أوفى القاضي عياض على تأليف الكتب والمؤلفات وأربى بكثير ما يجعله مرجعا ومصدرا للكثير من الباحثين[1].

كان القاضي عياض قاضيا، فرجع إلى سبتة بعد أن تم ما أراد من علوم الأندلس وكان دخوله للمدينة الأثر البالغ في نفوس أهلها، وتصدر للتعليم والتدريس بعد أن امتحنه علماء مدينة سبتة في الفقه المالكي، وأصبح من أهل مجلس الشورى، وكان ذلك في الثانية والثلاثين من عمره أو يزيد قليلا، ولما كان عياض في التاسعة والثلاثين من عمره تولى القضاء وكان ذلك عام 515هـ/1121م، وظل متربعا على عرش كرسي القضاء في بلده سبتة، فسار فيها أحسن السيرة وكان محمود الطريقة مشكور الحالة، أقام جميع الحدود على ضروبها وعلى إختلاف أنواعها، وبنى الزيادة الغريبة في جامع سبتة التي كمل بها جماله، وترك في بلده أثرا محمودا، ويبدو أن بعض الأمراء لم يعجبهم حزم وعدالة القاضي عياض، كما خاضوا من كثرة أتباعه وانتشار صيته ومحبة الناس له فلذلك عزموا على نقله إلى غرناطة ولم يذكروا سببا مقنعا، وانتقل القاضي عياض إلى غرناطة ممثلا لأمر الأمير فهب أصل غرناطة لاستقباله، كما يستقبل الفاتحون[2].

رحل القاضي عياض إلى الأندلس ودرس بقرطبة ومرسية وغيرهما، ثم عاد إلى سبتة وكان من علمائها ابن ثلاثين سنة أكثر بقليل، ثم جلس للشورى، ثم تولى القضاء، فسار في ذلك حسن السيرة مشكور الطريقة، ثم انتقل إلى غرناطة، وله من المؤلفات أهمها: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، واكمال المعلم في شرح مسلم، والمستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة، وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، والإعلام بحدود قواعد الإسلام والإلماع في في ضبط الرواية وغيرهما.

1- القاضي عياض: **شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تح: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1998م، ج1، ص ص 21-24.

2- علي محمد الصلابي: **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، ص 218.

قال ابن بشكوال: جمع من الحديث كثيرا وله عناية كثيرة واهتمام بجمعه وهو من أهل التفنن في اليقظة والعلم والذكاء، وقد ذكر ابن بشكوال أيضا أنه كان من أهل العلم والمعرفة ما في كل المعارف ومتكلما في أنواعها، نافذا في جميعها حريصا على أدائها ونشرها وهو حسن المعاشرة وصارم، ثاقب الذهن واستقص بلده فنفع الله به أهله لصرامته[1].

القاضي عياض بن موسى اليحصبي، فقيه أصولي محدث صاحب التآليف الجيدة النافعة وصل درجة التخيير والترجيح على ما أفاده الجحوي في رده على صاحب رسالة الإنصاف حيث عدد عددا من فقهاء المالكية ممن وصلوا إلى هذه الدرجة وإعتبرت أقوالهم معدودة من وجوه المذهب المالكي[2].

القاضي عياض يكنى أبا عبد اللصكان فقهيا جليلا أديبا كاملا دخل الأندلس وقرأ على ابن بشكوال كتابه الصلة وولي غرناطة كما قال ابن الزبير: وقفت على كتاب الفقه في شره من أخبار أبيه وحاله في أخذه وعلمه ومايرجع إلى هذا روى عن أبيه أبي الفضل الإمام وأبي بكر بن العربي وابن بشكوال وروى عنه ابنه أبو الفضل عياض[3].

كان القاضي عياض إمام وقته في الحديث وعلومه وعالما بالتفسير وجميع علومه فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم بصيرا بالأحكام عاقدا للشروط وكثيرا للصدقة، رحل إلى الأندلس والتقى بالكثير من العلماء هناك وأخذ يطلب العلم، وأخذ عن المشارقة فقال عنه القاضي أبو الوليد بن رشد: قال صاحب الصلة البشكوالية وأظنه سمع من أبي يزيد وقد اجتمع له الشيوخ بين من سمع منه وأجاز له مئة شيخ، كما قال عليه ابن بشكوال: هو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم، استقص بسبتة مدة طويلة حمدت

1- راغب السرجاني: **قصة الأندلس**، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2011م، ج2، ص ص520-521.

2- عمر الجيدي: **مباحث في المذهب المالكي في المغرب**، مطبعة المعارف الجديدة- الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، 1993م، ص 289.

3- ابن فرحون: **الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص ص 415-416.

سيرته فيها، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة ولم تطل مدته فيها حتى جاء إلى قرطبة، وقال الفقيه محمد بن خماد السبتي: جلس القاضي عياض للمناظرة وله نحو من ثمان وعشرين سنة، وولي القضاء وله خمس وثلاثون سنة فصار بأحسن سيرة وكان هنيئا من غير ضعف جليا في الحق، تفقه على يد عبدالله التميمي وصاحب أبي إسحاق بن جعفر الفقيه[1].

4. شيوخه وتلاميذه:

1.4- شيوخه:

الفقيه أبو عبدالله محمد بن عيسى بن حسن التميمي: أجل شيوخ بلدنا سبتة رحمه الله ومقدم فقهائهم مولده بمدينة فاس، انتقل أبوه إلى سبتة وهو شاب وأصله من تيهرت وجده هو المنتقل إلى فاس فطلب العلم بسبتة على يد شيوخه أبي محمد المسيلي وغيره، ورحل إلى الأندلس ثلاث رحلات إحداها من سبتة إلى اشبيليا فقرأ بها الأدب على يد أبي بكر بن القصيرة، والرحلة الثانية إلى ألميرية سنة480هـ/1087م، فأخذ عن أبي المرابط وأجازه الدلائي، والرحلة الثالثة سنة 488هـ/1095م، إلى قرطبة فسمع عن الجياني وابن الطلاع وأقام بها نحو عامين وتقلد الشورى أخر أيام البرغواطي، وكان كثير الكتب حافظا عارفا بالفقه جيدا بالخط والكتابة والمحاضرة من أعقل أهل زمانه وأفضلهم، وولي القضاء بسبتة نحو ست سنين واستعفى من ذلك ثم التزم القضاء بمدينة فاس بعد أن سجن وكان من أحسن القضاة وأنزههم وأجراهم على الطريقة الصحيحة، فمضى فقيدا حميدا واحتفل الناس لجنازته، وولعت العامة بنشعه مسحا بالألف ولمسا بأطراف ثيابه تبركا به رحمه الله[2].

الفقيه القاضي أبو عبدالله بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي: أحد رجال الأندلس وزعيمها في وقته ومقدمها جلالة ووجاهة وفهما ونباهة مع النظر الصحيح في الفقه والأدب البارع والتقدم في النثر والنظم، تقلد الشورى بقرطبة في أوائل

1- السيوطي: **المصدر السابق**، ص ص 9-11.

2- القاضي عياض: **الغنية**، ص ص 27-29.

الدولة المرابطية، ثم ولي قضاء الجماعة بها سنة 490هـ/1097م، إلى أن توفي، وتفقه بأبيه وسمع منه ومن أبي عبدالله ابن عتاب وابي القاسم الطرابلسي وغيره، وأجازه بن عبد البر والدلائي[1].

الفقيه القاضي الشهيد أبو عبدالله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي ابن الحاج: أحد الفقهاء الفضلاء تفقه بشيوخ بلده قرطبة أبي جعفر ابن رزق وأبي الحسن، كان حسن الضبط، جيد الكتب، كثير الرواية، له حظ من الأدب، مقدما في الشورى، صليب الدين، متواضعا حليما، ولي قضاء الجماعة بقرطبة مرتين وقتل وهو قاض يوم الجمعة ساجدا بصلاة الجمعة طعنا بالسيف، كما قرأت عليه في داره بقرطبة جميع كتاب غريب الحديث لأبي محمد بن قتيبية، وعارضت كتابي بكتابه، كما حدثني عن الشيخ أبي مروان ابن سراج رحمه الله[2].

الفقيه القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد: زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ومقدمهم المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف، ودقة الفقه، وكان إليه المفزع في المشكلات، بصرا بالأصول والفروع والفرائض والتفنن في العلوم، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، كثير التصنيف، ألف كتابه المسمى بكتاب البيان والتحصيل في شرح الكتاب العتبي، كان تفهمه بأبي جعفر ابن رزق، وعليه اعتماده بنظراء من فقهاء بلده، وسمع عن الجياني وأبا عبد الله ابن فرج وأبا مروان ابن سراج وابن أبي العافية الجوهري وأجازه العذري واستفاد منه.

الفقيه القاضي أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد الأموي: ولد سنة 433هـ/1041م، كان من مشايخ بلدنا وقاضيها ومفتيها وتولى القضاء مرتين، مرة أيام برغواطة، والأخرى في بداية دولة المرابطين، وكان حافظا للفقه والفرائض، مشاركا في علم التفسير، وعلم الناسخ

1- القاضي عياض: **الغنية**، ص 46.

2-**المصدر نفسه**، ص ص 47-48.

والمنسوخ وغير ذلك، سمع من القاضي أبي الأصبع ابن سهل ومروان بن عبدالملك، كان مولعا بالحفظ والتفقه، ولم يكن له شغل بالرواية والسماع، ووصف بالصلاح والعفة من صغره، توفي رحمه الله يوم الأحد السادس من رجب سنة 517هـ/1123م[1].

الفقيه القاضي أبو عبدالله محمد بن داود بن عطية بن سعيد المكي القلعي: كان من أهل العلم والفقه والأصول والفروع تفقه على يد أبي عبدالله الذكي، وغيرهم من شيوخ بلدهم، ودرس الأصول على يد عبدالجليل الديباجي وغيره، وسمع بالأندلس من الجياني وتولى قضاء تلمسان، ثم نقل إلى قضاء اشبيلية، ثم انتقل إلى قضاء فاس، صحبته كثيرا ودرست عليه أصول الفقه جليلا فاضلا فقيها ذكيا، توفي يوم الإثنين العاشر من ذي القعدة سنة 525هـ/1131م[2].

الإمام أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري مستوطن بالمهدية: إمام بلاد إفريقية وماوراءها من المغرب وأخر المستقلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الإجتهاد ودقة النظر، أخذ عن اللخمي وأبي محمد ابن عبدالحميد السوسي وغيرهما من شيوخ إفريقية، ودرس أصول الفقه والدين وتقدم في ذلك، لم يكن في عصره أفقه منه في المالكية، وسمع الحديث وفهم معانيه واطلع على علوم كثيرة من الطب والحساب والأداب وغير ذلك، فكان أحد أكمل رجال العلم في وقته، وإليه يفزع في الفتوى بالطب في بلده، بالإضافة إلى الفقه، وكان حسن الخلق والسيرة، جيد المجلس، وكان قلمه أبلغ من لسانه، وألف في الفقه والأصول وشرح كتاب مسلم، وكتاب التلقين للقاضي أبي محمد، توفي رحمه الله يوم السبت الثالث من ربيع الأول سنة 536هـ/1141م، كما كتب إلي من المهدية يحيزني بكتابه المعلم في شرح مسلم وغيره من تآليفه[3].

1- القاضي عياض: **الغنية**، ص ص 54-58.

2- **المصدر نفسه**، ص 64.

3-**المصدر نفسه**،ص 65.

القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد المعافري المعروف بابن العربية: من أهل إشبيلية وأبوه أبو محمد من فقهائها ورؤسائها، سمع ببلده من أبي عبد الله ابن منظور وأبي محمد ابن الخزرج، وبقرطبة من أبي عبد الله بن عتاب وأبي مروان وابن سراج، وأخذ الأدب عن أبوبكر وقرأ عنه القراءات، لقي شيوخ مصر أمثال أبا الحسين الخلعي وأبا الحسن ابن مشرف، درس الفقه والأصول عند أبي بكر الشاشي وأبي بكر الطرطوشي، جاد في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والأصول والأحكام، وإنصرف عن الأندلس وأقام بالإسكندرية عند أبي بكر الطرطوشي فمات أبوه فيها بداية سنة 493هـ/1100م، ثم ذهب إلى الأندلس سنة 495هـ/1102م، فسكن بلده وجلس للوعظ والخطابة والتفسير، توفي رحمه الله شهر ربيع الأول من سنة 543هـ/1148م[1].

الفقيه أبو بكر محمد بن خلف بن سليمان بن خلف بن محمد بن فتحون الأريولي: من بيت علم وفضل، كان ذكيا، سمع أباه ولازم القاضي عياض، كما كان أبوه أبو القاسم من أهل العلم والمعرفة والأدب والشعر، توفي سنة 505هـ/1111م.

أبو عبد الله محمد بن الفرج: له رحلة إلى العراق والشام وسمع عن جماعة فأجازوه منهم أبو الحسن الطيوري وابن البطر وأبو الفضل ابن خيرون، وأبو الحسن ابن أيوب وغيرهم من الفقهاء والعلماء.

محمد بن عبدالله المعروف بالمورودي: الشيخ المقرئ من المتصدرين بسبتة لإقراء القرآن مدة عمره، وكان مسنا قائما بعلم القراءات واختلاف القراء، قرأت عليه القرآن عدة ختمات توفي رحمه الله 500هـ/1106م[2].

1- القاضي عياض: **الغنية**، ص ص 66-68.

2-**المصدر نفسه**، ص ص 81-90.

الوزير أبو جعفر أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللخمي: من سكان لورقة له سماع كثير واعتناء قديم، سمع عن ابن صاحب الأحباس وابن وردون وابن المرابط وغيرهم، توفي رحمه الله سنة 516هـ/1122م.

أبو العباس أحمد بن عثمان بن مكحول: سمع بالأندلس من أبي بكر ابن الغراب البطليموسي وغيره، وله رحلة قديمة سنة 451هـ/1059م، حدثني بكتاب الشهاب إجازة عن مؤلفه القاضي القضاعي توفي بألميرية في شعبان سنة ثلاثة عشر وخمسمائة 513هـ/1119م[1].

القاضي الشهيد الحافظ أبو علي الحسين بن محمد بن فيره بن حيون الصدفي المعروف بابن سكرة: أصله من سرقسطة من قرية على أربع أميال منها تعرف بمنزل محمود بالثغر الأعلى ومولده بحافرتها في نحو 454هـ/1062م، أخذ عن شيوخها وقرأ عليهم وسمع عن الباجي وابن الصراف، وابن سماعة، كما سمع عن العديد من الفقهاء المختلفين، واتسعت روايته ووصل إلى الأندلس ورحل الناس إليه وكثر الذين يأخذون منه، كما خرج للغزو سنة 514هـ/1120م، مع الأمير إبراهيم وقد بسطت أخباره وأخبار شيوخه في كتاب المعجم المذكور، كما كان له عدة تأليفات مختلفة[2].

الفقيه أبو علي الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي: من أهل سفاقس سكن المغرب كثيرا والأندلس ودرس في بلاد المصامدة، واستوطن بلدنا أخيرا، وشاوره بها بعض القضاة تكررت عليه وجالسته، كما كان فقيها أصوليا متكلما عارفا بعلم الهندسة والحساب والفرائض وغير ذلك، وكان تفقهه بأبي الحسن اللخمي وعليه كان إعتماده، وأخذ أيضا عن ابن سعدون

1- القاضي عياض: **الغنية**، ص ص 99-101.

2-**المصدر نفسه**، ص ص 129-131.

والجياني وغيرهما من مشايخ إفريقية والمغرب والأندلس، توفي بأغمات في محرم سنة 505هـ/1111م[1].

الشيخ الصالح أبو علي الحسن بن علي بن طريف النحوي التاهرتي: شيخ بلدنا في النحو مشهور بالصلاح وله سماع من الفقيه حجاج بن المأموني والفقيه ابن سعدون وآخرون، وسمع من الشيخ أبي علي القاضي، والقاضي أبي عبدالله ابن عيسى وغيرهما، توفي رحمه الله في التاسع من ذي الحجة من سنة 451هـ/1059م، كما درست عليه الكثير من الكتب في الأدب والنحو.

الشيخ أبو سعيد حيدر بن يحيى بن حيدر بن يحيى الجبلي الصوفي: المجاور لمكة موصوف بالصلاح وكان من أخيار الخرامانيين وكان ضمن من سمع وإشتغل بخدمة السلطان واتسع في الدنيا ثم تزهد وتصوف وكان يصوم أكثر من الدهر، كما سمع القاضي أبا المحاسن عبد الواحد بن اسماعيل الروياني وأبا القاسم ابن إبراهيم بن يوسف الوراق الدريندي وآخرون، كما تحدث عنه الكثير من الفقهاء والمحدثين[2].

خلف بن يوسف بن فرتون النحوي: من أهل شنترين أبوالقاسم كان من أئمة النحاة والأدباء، أخذ ببلده عن عاصم بن أيوب وابن عليم وغيرهم، وأقرأ الناس الأدب والنحو بالأندلس والمغرب ثم جدد السماع لكتب الأداب والحديث، أخذ عن أبي علي الجياني وسراج بن عبد الملك والعبسي وابن عتاب وأخرون، وانتقل إلى العدوة وسكن سبتة مدة معينة، وقرأ عليه عدة من المشايخ والكهول والشباب، كتب النحو واللغة والغريب والأداب وبعض كتب الحديث، ثم انتقل إلى فاس وأقام بها مدة، ثم رحل إلى الأندلس وقيل كان يسكن الجزيرة مدة

1- القاضي عياض: **الغنية**، ص 140.

2-**المصدر نفسه**، ص ص 141-143.

وطنجة مدة، وحمل عنه الكثير من الجلة، توفي بقرطبة في ذي القعدة سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة (532هـ)، وكان رحمه الله ينشد لأبي وهب الزاهد القرطبي[1].

عبد الحواد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف البغدادي الفهري: سمع عبد الواحد أباه وأبا الحسن الطيوري وأخرون، وكتب عدة روايات وأبوه أبو الحسين فاضل زاهد من جلة المحدثين الأثبات الثقات ببغداد، حدثنا عنه القاضي أبوعلي والقاضي أبوبكر[2].

الفقيه الحافظ أبوبكر غالب بن عطية المحاربي: هو غالب بن عبد الرحمان بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية بن خفاف بن أسلم بن مكرم، تفقه صغيرا على فقهاء بلده وسمع منهم كالفقيه أبي الربيع ابن الربيع والفقيه أبي عثمان ابن جعد وغيرهم وتأدب وقرأ القراءات السبع على أبي علي الحسن عبيد الله الحضرمي وغلب عليه الأدب في شيبته وأجاد نظام الكلام والشعر ثم عطف على الفقه والحديث فسمع بالأندلس من أبي بكر ابن صاحب الأحباس وأبي محمد بن أبي قحاضة وغيرهم، وله رحلة إلى الشرق قديمة سنة 469هـ/1076م، لقي فيها بقية رجال إفريقية وتفقه معهم في الفقه والأصول منهم أباعبد الله بن معاذ وأبا محمد عبد الحميد الصائغ وابن القديم وصَاحب بمصر الواعظ أبا الفضل الجوهري وبمكة أبا عبد الله الجاحظ المري والعديد من الفقهاء[3].

الفقيه أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك بن ابراهيم بن سمحون اللوائي: زعيم المغرب وشيخه وذو جاه كبير وقول مسموع فيه، كان من أهل العلم والفقه والأدب، وله سماع عالي من المصريين ابن نفيس وابن منير وغيرهم، كما قرأ القرآن على المقرئين بها، وجالس الفقيه عبد الحق بصقلية، كما سمع من أبي علي المعروف بابن المندوكي فقيه سجلماسة، ثم انتقل إلى طنجة صدر الدولة المرابطية ومنها أصله، فتولى صلاتها وخطبتها والفتوى فيها، ثم تقلد

1- القاضي عياض: **الغنية**"، ص ص149-151.

2-**المصدر نفسه**، ص170.

3-**المصدر نفسه**، ص ص 189-190.

أحكامها وانصرفت إليه جميع أمور الأندلس والمغرب وفوض إليه أمير المسلمين يوسف من كبارها وكان مهيبا صلبا شجاعا[1].

سراج بن عبد الملك بن سراج الأوي الوزير اللغوي الحافظ أبو الحسين: زعيم وقته وإمام أهل طريقته والمقدم في مصره بذاته وسليفته، أخذ عن أبيه الحافظ أبي مروان وله سماع عن الفقيه أبي عبدالله ابن عتاب، وإليه كانت الرحلة في وقته بعد أبيه في تقييد كتب الأدب والغريب والشروح، ودرس كتاب سيبويه، كما رحلت إليه إلى قرطبة سنة 507هـ/1113م، فسمعت عليه مايسره الله، ثم رجعت إليه بعد رحلتين من شرق الأندلس سنة 508هـ/1114م، فوجدته مريضا، وكانت وفاته بعد فراقي إياه بأيام وذلك يوم الإثنين جمادى الأخيرة من السنة المذكورة[2].

سعيد بن أحمد بن سعيد السفافسي الينونشي: الفقيه الزاهد أبو الطيب إجتاز ببلدنا وسكن أغمات، كان من المحققين بالفقه والكلام من أهل البلاغة والتأليف والنظم والنثر، تفقه بأبي الحسين اللخمي وطبقته، وكان من أهل الخير التام والفضل الكامل، سلك طريق الزهد والورع والتقلل، متواضعا، حسن الصحبة، كريم العشرة، يزداد على الأيام فضلا، واشتهر إسمه بعد صيته عند السلطان وغيره، إلى أن توفي جراء سقطة سقطها من درج منزله في صدر رجب سنة501هـ/1107م.

سليمان بن محمد المعروف بابن البيغي: أصله من شاطبة وكان متفننا نبيلا لقي الشيوخ وسمع منهم: أبا عمر بن عبد البر، وأبا الوليد الباجي، وأبا الوليد الوقشي، وأبا العباس الدلائي، وأبا الأصبغ، كما ناولني كتاب المنتقى في أخبار الأئمة الفقهاء تأليف ابن عبد

1- القاضي عياض: **الغنية**، ص197.

2-**المصدر نفسه**، ص ص201-202.

البر، وفهرست أبي عمر والدلائي وحديثي بهما وسمعت منه عن شيوخه، توفي520هـ/1126م[1].

شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني أبو الحسن القاضي المقرئ: شيخ المقرئين المتصدرين في زمنه ومن إليه الرحلة في هذا الشأن القائمين بعلوم القرآن، والإستقلال بالنحو والعربية، وله سماع في الحديث من أبيه، وأبي محمد بن الخزرج، وأبي عبدالله ابن منظور، كما كان أبوه أبو عبدالله أحد أئمة المقرئين أيضا وله تصانيف بديعة في القرآن وإليه كانت الرحلة في وقته، ثم خلفه ابنه أبو الحسن في ذلك، فأقر عمره، وتفاخر الناس بالأخذ عنه وتقلد خطبة إشبيلية وقضائها، لزم الإقراء والسماع والقيام بالخطبة والصلاة إلى أن أقعده الكبر عن ذلك، ولم يقدر على التصرف فاستخلف عن الصلاة، مولده كان عام 451هـ/1059م، وتوفي سنة 539هـ/1144م[2].

هشام بن أحمد بن هشام الهلالي: ولد في صفر سنة 444هـ/1052م، من أهل غرناطة القاضي أبو الوليد يعرف بابن البقوة سمع بألميرية من عامة شيوخها طاهر بن هشام وحجاج المأموني، وأبي القاسم الجراوي، وأبي العباس العذري، وممن طرأ عليهم كأبي الوليد الباجي وأبي عبدالله بن سعدون، ولقي أبي بكر المرادي، وكان من أهل العلم بالفقه والحديث وعلم التوحيد والأصول والتكلم عن معاني الحديث والنقاد المثقفين مع المعرفة بالشروط، ولقيته بغرناطة بعد انصرافي من المشرق، ولم أسمع منه، توفي رحمه الله بغرناطة ربيع الأول سنة 530هـ/1135م.

1- القاضي عياض: **الغنية**، ص 210.

2- **المصد نفسه**، ص 213.

الأستاذ أبو الحسين يحي (ابن الطراوة): النحوي الأديب، أحد أئمة الأدب وشيوخ النحاة القوام على كتاب سيبويه وغيره، تفنن في علوم الرياضيات وكان شاعرا مجيدا، جالسته كثيرا، وحضرت مجالسه في الأدب[1].

يوسف بن موسى الكلبي المتكلم النحوي أبو الحجاج الضرير: كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية ونظار أهل السنة، عارفا بالنحو والأدب وله في ذلك تصانيف مشهورة، وسكن بلدنا مدة وتردد بالأندلس والمغرب، وكان أخر المشتغلين بعلم الكلام بالمغرب، قرأت عليه أرجوزته الصغرة التي ألفها في الاعتقادات، وحدثني بالكبرى، وبكتاب التجريد لأبي بكر المرادي[2].

هشام بن أحمد الفقيه أبو الوليد القرطبي المعروف بابن العواد: ولد سنة اثنتين 452هـ/1060م، أحد مقدمي فقهائها ومفتيها في وقته في الخبر والعلم والحفظ للحديث والفقه والإتقان والإنقباض والزهد، تفقه بأبي جعفر ابن رزق وابن الطلاع وغيرهما من القرطبين، وسمه منهم ومن الجياني، وأبي مروان ابن سراج وغيرهم، كان حسن الخلق، مختص الزي متواضعا، عزم عليه في القضاء غير مرة فلم يجب، تفقه عنده جماعة وسمعوا منه لغته بقرطبة وقرأت عليه في داره جميع كتاب المصنف لأبي داود السجستاني في السنن وهو يمسك على أصل شيخنا أبي علي الحسين بن محمد الجياني الذي أتقنه، وحدثني به عنه عن أبي عمر ابن عبد البر عن ابن عبد المومن عن أبي داسة عن أبي داود، توفي رحمه الله بقرطبة عقب صفر من سنة 509هـ/1115م[3].

سهل بن علي بن عثمان النيسابوري الشيخ التاجر أبو نصر: لقيته بسبتة حين جوازه عليها، وأقام بها مدة طويلة وكان متسمتا جليلا، حدثني بحكايات وفوائد، وحدثني بأمالي

1- القاضي عياض: **الغنية**، ص ص 219-223.

2- **المصدر نفسه**، ص 226.

3-**المصدر نفسه**، ص ص 217-219.

الشيخ أبي بكر احمد بن محمد ابن خلف الشيرازي عنه فيما ذكر، وبكتاب أصول الفصول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، توفي رحمه الله غريقا في البحر منصرفا إلى بلده من ألميرية سنة 531هـ/1136م[1].

سفيان بن العاصي بن أحمد بن العاصي بن سفيان الأسدي الفقيه الرواية أبو بحر: ولد سنة تسع وثلاثين وقبل سنة 439هـ/1047م، أحد المتفننين للكتب المتسعي للرواية، نشأ ببلنسية واصله من عملها من حصن مربيطو، سمع أبا العباس الدلائي وأبا عمر ابن عبد البر والقاضي أبو الوليد الباجي وأخرون، لقيته بقرطبة وقرأت عليه كتاب المشاهد وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي محمد عبد الملك بن هشام اختصاره لكتاب محمد بن إسحاق، قال القاضي أبو الفضل وقد حدثني بكتاب المشاهد المذكور الفقيه القاضي أبو عبدالله محمد بن عيسى سماعا للكثير منه واجازة لما فاتني، كما حدثني بجميع الشيوخ، كما قرأت عليه كتاب شيوخ البخاري تأليف أحمد بن عدي الجرجاني، كما حدثني رحمه الله بكتاب بهجة المجالس لأبي عمر ابن عبد البر وكتاب الإشراف على مافي أصول الفرائض من الإختلاف، توفي رحمه الله بقرطبة لثلاث بقين من جمادى الأخرى سنة 520هـ/1126م[2].

علي بن أبي القاسم بن محمد المهدوي يعرف بابن البناء: سكن مكة أخذ عن أبي معشر الطبري المقرئ، وأبي علي الطبري الشافعي وجماعة من القادمين مكة والمجاورين بها، كتب إلينا منها بإجازة جميع روايته ومن ذلك كتاب الجامع الكبير في القراءات، تأليف أبي معشر الطبري اشتمل على ألف وخمسمائة وخمسين رواية وكتاب التلخيص في القراءات له أيضا[3].

1- القاضي عياض: **الغنية**، ص ص 209-210.

2- **المصدر نفسه**، ص ص 205-207.

3- **المصدر نفسه**، ص 183.

عيسى بن محمد بن عبدالله بن مؤمل بن أبي البحر الزهري أبو الأصبغ: شيخ مسن أصله من شنترين وسكن مدينة سلا، لقيته بسبتة مرات اجتاز علينا بها تاجرا، وله سماع قديم بالمشرق من كريمة بنت أحمد لكتاب البخاري، ومن أبي الحسن ابن باب شاذ وأبي معشر الطبري وأبي محمد صباح الشافعي وغيرهم بالأندلس، وناولني من كتب القاضي أبا الوليد كتاب التعديل والتجريح، وكتاب التسديد، وكتاب الفصول في أحكام الأصول، وحدثني عن أصول الباجي، وجميع روايته توفي رحمه الله في نحو 530هـ/1135م.

كما أخبرنا رحمه الله بكتاب الوقف والإبتداء لابن النحاس ومعاني القرآن، كما حدثني عن أبي إسحاق الحبال المصري[1].

2.4- تلاميذه:

من أعظم أثار القاضي عياض رحمه الله كثرة تلاميذه من الأندلسيين والمغاربة حيث كل طبقة من هؤلاء التلاميذ أخذوا العلم من القاضي عياض، وكفاه بذلك شرفا وفخرا، وهناك عشرة من مشاهير تلاميذه الذين تخرجوا بفضل القاضي عياض ونفعوا الأمة:

إبراهيم بن يوسف المري المعروف بابن قرقول (ت 569هـ/ 1173م): محدث واسع الرؤية فقيه، لغوي، أصله من الأندلس، ثم انتقل إلى فاس، وبها كانت وفاته، ومن مظاهر تأثره بشيخه القاضي عياض وحبه له أن ألف على المشارق كتابا سماه "مطالع الأنوار"[2].

أحمد بن الرحمان الصقر الأنصاري الخزرجي(ت569هـ/1173م): محدث حافظ، فقيه بارع، أصولي متمكن لغوي، أديب وشاعر، أصله من الأندلس وانتقل إلى مراكش وبها كانت وفاته، له مصنفات عديدة منها: شرح الشهاب.

1- القاضي عياض: **الغنية**، ص ص 184-185.

2- الحسين بن محمد شواط: **المرجع السابق**، ص 239.

خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت 579هـ/ 1183م): إمام حافظ محدث وفقيه، أصولي مؤرخ جمع بين علوم الرواية والدراية، سمع عن القاضي بقرطبة ثم كتب إليه القاضي من سبتة مجيزا بمروياته ومؤلفاته له تصانيف بديعة منها: كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وقضائهم وأدبائهم، وكتاب معجم شيوخه والغوامض والمبهمات ورواه الموطأ عن مالك وغيرهما.

عبد الرحمان بن أحمد الأزدي المعروف بابن القصير (ت 575هـ/ 1179م): محدث واسع الرواية فقيه وأديب، أصله من الأندلس، ثم ارتحل إلى المغرب واستقر بإفريقية له مصنفات كثيرة منها: اختصار الموطأ، اختصار سنن الترمذي، استخراج الدرر وعيون الفوائد والخبر.

عبد الرحمان بن محمد الأنصاري المعروف بابن خبيش (ت 584هـ/1188م): أحد أئمة الأندلس في وقته، عالم بالقراءات وعلوم القرآن، وبصير بالحديث وعلله ورجاله، لغوي متقن في العلوم أجاز له عياض رواياته ومؤلفاته، صنف كتبا بديعة منها كتاب المغازي في مجلدات كثيرة[1].

عبد الرحيم بن عيسى الأزدي (ت 606هـ/1209م): فقيه محدث متفنن في سائر العلوم، قوي أثره العلمي في مدينة فاس ومختلف مدن المغرب، واستجازه طلبة العلم من أقاصي البلاد.

عبدالله بن أحمد العبدري المعروف بابن أبي الرجال (ت 566هـ/ 1170م): محدث حافظ مقرئ، فقيه، من كبار علماء الأندلس له تآليف مفيدة ومتنوعة منها: شرح صحيح مسلم، وقد توفي قبل اتمامه، وشرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي.

1- الحسين بن محمد شواط: **المرجع السابق**، ص ص239-241.

محمد بن حسن بن عطية المعروف بابن الغازي (ت بعد 560هـ/ 1165م): فقيه متقن، شاعر، أديب، أديب من أهل سبتة وكان له اختصاص بعياض بحيث لازمه كثيرا وسمع منه وقرأ عليه وتحمل عنه معظم رواياته ومؤلفاته ثم تصدر للتدريس بعد ذلك انتفع به أهل سبتة.

محمد بن خير الأموي أبو بكر الإشبيلي (ت 575هـ/ 1179م): إمام فاضل، مقرئ متقن، محدث واسع الرواية، أديب لغوي مشارك في سائر العلوم، وهو أحد أئمة وقته ببلاد الأندلس، أخذ عن القاضي سماعا وأجازه، وله مؤلفات بديعة منها: فهرسة شيوخه[1].

محمد بن سعيد الأنصاري الإشبيلي المعروف بابن زرقون (ت 586هـ/ 1190م): أحد مبرزي فقهاء وقته، لغوي وأديب شاعر ، مشارك في سائر العلوم، وقد لازم عياض كثيرا واختص به، وكتب له أيام قضائه بغرناطة، له مصنفات هامة ومتنوعة منها: كتاب الأنوار جمع فيه بين المنتقى للباجي والاستنكار لابن عبد البر والجمع بين سنن الترمذي وسنن أبي داود.

وهؤلاء العشرة عنوان على من عداهم من تلاميذ هذا الإمام ومما زاد في كثرة تلاميذ عياض أن الأوضاع في الأندلس بدأت تتغير وبدأ كثيرا من أهل العلم، وعامة الناس يرتحلون من الأندلس إلى المغرب، ليمروا بسبتة ويلتقون بالقاضي عياض، ويأخذون عنه العلم ومن ثم يساهمون في اثراء الحياة العلمية بالمغرب وإفريقية وغيرها من الأقطار[2].

5. وفاتــه:

اتفق المؤرخون والمترجمون لحياة القاضي عياض على أن وفاته كانت في عام 544هـ/1149م، وعلى وجه التحديد يوم الجمعة السابع من جمادى الأخيرة من العام المذكور، كما اتفقوا على أنه توفي بمراكش، ودفن بها بباب إيلان داخل مدينة مراكش، وقال

1- الحسين بن محمد شواط: **المرجع السابق**، ص ص 241-243.

2- **المرجع نفسه**، ص ص 243-244.

ابن خلكان في ترجمة القاضي عياض، وتوفي بمراكش في السابع من جمادى الأخيرة، وقيل في شهر رمضان سنة 544هـ/1149م.

وقال صاحب الفهرست توفي بمراكش مغربا عن وطنه يوم الجمعة السابع من جمادى الأخيرة وهناك أسباب لوفاته حسب بعض الآراء وهي أربع آراء:

- **الرأي الأول:** هو إعتلاله خارج مراكش ونقله مريضا إليها ووفاته بها، وقد ذكره ابنه محمد في جزءه.
- **الرأي الثاني:** وهو أن مات مسموما قام بتسميمه يهودي، وقد ذكره المؤلفين كالشيخ الأمير في ثبته(ثبت بيبلوغرافي)، قالوا أن عياضا مات مسموما بمراكش سمه يهودي.
- **الرأي الثالث:** وهو قتله في الحمام فهذا مما لا أصل له، بل شاع على الألسن كما قال الخفاجي في شرحه في نسيم الرياض.
- **الرأي الرابع:** وهو أنه مات يوم دعاء الإمام الغزالي عليه لأنه أفتى بحرق كتاب الأحياء، فهو قول يدفعه ويبطله التاريخ[1].

ثانيا: مؤلفات القاضي عياض

1. المؤلفات المطبوعة:

1.1- إكمال المعلم بفوائد مسلم:

هو شرح كمل به شرح أبي عبدالله محمد بن عبدالله المازري علي صحيح مسلم بن الحجاج المسمى بالمعلم بفوائد مسلم، وقد قام بتحقيقه الدكتور يحي اسماعيل، وطبع بدار الوفاء للطباعة والنشر سنة 1998 في تسعة أجزاء[2].

1- البشير علي حمد الترابي، **المرجع السابق**، ص ص107-110.

2- القاضي عياض: **التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة**، المصدر السابق، ص 40.

2.1- الغنية:

يقيم هذا الكتاب وثيقة مهمة تبين لنا طرق الاتصال الثقافي والفكري وحركة التبادل العلمي بين المغرب والمشرق، وكان لسبتة بحكم موقعها الفعال دور في هذا الإتصال، وكتاب الغنية على صغر حجمه، عظيم الفائدة، ومن الغنية يستطيع الدارس أن يوصد التكوين الفكري والثقافي للقاضي عياض[1].

كما خصص القاضي عياض هذا الكتاب لشيوخه ومارواه عنهم، وقد حققه وقدم له الدكتور محمد بن عبد الكريم، وطبع بالدار العربية للكتاب بليبيا وتونس سنة 1978م، وحققه وقدم له أيضا الأستاذ ماهر زهير جراح وطبع بدار الغرب الإسلامي، بيروت1982م[2].

3.1- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك:

لقد أولى هذا الكتاب للمذهب المالكي عناية خاصة، وذلك لما ينطوي عليه من صور واضحة حول نشوء المذاهب وتطوره، ومن أخبار عن رواة المذهب وفقهائه وكتبه، وهذا ماجعل الناس يتطلعون إلى صدور هذا الكتاب، ويؤيد عناية الأمراء به، وهذا ماذكره الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي من عزم السلطان العلوي مولاي عبد الحفيظ على طبعه بمصر إلا أن العملية لم يكتب لها النجاح، وبعد عدة محاولات التي باءت بالفشل من طرف الأمراء الحكام، استطاع الحسن الثاني رحمه الله على طبعه، وقامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تطبعه بعد أن قامت مجموعة من الأساتذة بتحقيقه، وقد طبع أيضا في لبنان بتحقيق أحمد بكير محمود[3].

1- القاضي عياض: **الغنية**، ص 11.

2- القاضي عياض: **التنبيهات المستنبطة**، ص 40.

3- **المصدر نفسه**، ص 39.

4.1- الشفا بتعريف حقوق المصطفى:

طبع عدة مرات منها طبعة بتحقيق علي البجاوي وصدرت بالقاهرة عن مطبعة عيسى البابي الحليبي[1].

5.1- بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد:

هو للقاضي عياض بن موسى اليحصبي أعيد تحقيقه بعدما طبع من قبل وزارة الأوقاف المغربية 1975م وقد كان على هذه الطبعة الكثير من المؤخذات تم طبع طبعة أخرى من قبل دار أضواء السلف المصرية سنة 2008م، اتبعت في ضبط نصها الطبعة المغربية حذو القذة بالقذة وقد قابل محققها سعد عبدالغفار على المطبوعة على نسخ خطبة مكتوبة في القرن الحادي عشر هجري.

6.1- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع:

هذا الكتاب من الكتب المهمة في مصطلح الحديث وهو مطبوع[2].

7.1- مشارق الأنوار على صحاح الآثار:

عمد القاضي عياض في كتابه هذا الذي درس فيه الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم إلى كلمات المتن، وأسماء الأماكن والرجال وألقابهم فقام بترتيبها على حروف المعجم، ثم شرع في ضبط متونها وتصحيحها على الأصول، كما نبه إلى إختلاف الروايات مع الإشارة إلى الصواب والأرجح منها، وقد طبع هذ الكتاب أول مرة على يد السلطان مولاي

1- مولى الخلوة مصطفى: **أثر القاضي عياض في فن التحقيق"كتاب التنبيهات أنموذجا"**، مذكرة لنيل درجة الماجستير، إشراف دباغ محمد، فقه مالكي وتحقيق التراث، قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، الجامعة الإفريقية، أدرار،2015م، ص 112.

2- القاضي عياض: **بغية الرئد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد**، تح:أبي داود أيمن الدسوقي، دار الدخائن-إحياء لتراث أمة، (د ب)، 2018م، ص6.

عبد الحفيظ سنة 1328هـ ثم أعادت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالرباط، طبعه سنة 1982م ضمن منشوراتها.

8.1- مذاهب الحكام في نوازل الحكام:

هذا الكتاب للقاضي عياض وولده وأصله بطائق أو جذاذات للقاضي عياض جمعها بعد وفاة ابنه أبو عبد الله محمد وهي تشتمل على أجوبة تمثل الفتوى في الغرب الإسلامي وليست مقصورة على عياض لوحده وإنما فيها أجوبة لإبن رشد وابن الحاج ومحمد بن عياض وقد قدم هذا الكتاب وحققه الدكتور محمد بن شريفة وطبع بدار الغرب الإسلامي.

9.1- الإعلام بحدود قواعد الإسلام:

حققه وقدمه الأستاذ المرحوم محمد بن تاويت الطنجي وطبعته وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، وقد ترجم إلى الفرنسية وشرحه القباب ومازال الشرح مخطوطا[1].

2. المؤلفات المخطوطة:

1.2- التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة:

وهي للقاضي عياض واسم الكتاب كاملا التنبيهات المستنبطة في شرح كلمات مشكلة وألفاظ مغلطة مما وقع في كتاب المدونة والمختلطة، وقد جمع فيه غرائب من ضبط الألفاظ وتحرير المسائل وشرح المشكلات[2].

يقع هذا الكتاب في عدة أجزاء وقد قدره ابنه بعشرة أجزاء ولكن بمفهوم الجزء في ذلك الوقت وهو موضوع هذا التحقيق.

1- القاضي عياض: **التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة**، المصدر السابق، ص ص 38-41.

2- أبو عاصم بشير ضيف: **مصادر الفقه المالكي أصولا وفروعا في المشرق والمغرب قديما وحديثا**، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2008م، ص 42.

2.2- المعجم في شيوخ ابن سكرة:

وقد ذكره الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي بهذا العنوان المعجم في ذكر أبي علي الصدفي وشيوخه وأخبارهم ، جمع فيه نحو مائتي شيخ، ذكره عياض في " الغنية " وقال عنه عبد السلام شقور، وقد ورد في إحدى قوائم المخطوطات أنه بمكتبة الجزائر تحت رقم.58

3.2- خطب عياض:

هو سفر واحد جمعت فيه خطب عياض حسب ماقاله ابنه ويقول الأستاذ حسن الوراكلي أنه قد عثر مؤخرا على بعض خطب عياض، ولا يستبعد أن تكون مما كان يشتمل عليه كتاب خطبه، وقال تنظر هذه الخطب تحت رقم79 من مخطوطات جائزة الحسن الثاني لسنة 1979م، وقد ذكر الأستاذ عبدالسلام شقور نماذج من هذه الخطبة[1].

4.2- الفنون الستة في أخبار سبتة:

وقد ذكر باسم أخر" العيون الستة في أخبار سبتة" ولعل الكتاب واحد، وبالإسم الأول ذكره ابنه، وهو من الكتب التي لم يكملها وقال الأستاذ الوراكلي يفهم من الإشارة للشيخ أحمد بن الصديق في كتابه"جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأخبار" أنه وقف على الكتاب.

5.2- الصلاة العياضية على النبي صلى الله عليه وسلم:

توجد هذه الصلاة بمجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: ق.1207 وهي منسوبة إلى القاضي عياضي وهي مكونة من ست وعشرون(26) صفحة من الحجم الصغير، وبخط كبير عدد أسطر كل صفحة عشرون سطرا، وهي صلاة طويلة على طريقة صلاة دلائل الخيرات وقد نشرها عبدالسلام في كتابه.

1-القاضي عياض: **التنبيهات المستنبطة** ص ص 39-41.

6.2- قصيدة العياض في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

هذه قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وجدتها منسوبة ضمن مجموع بالخزانة العامة بالربط تحت رقم 1207، والقصيدة مبنية على أسماء سور القرأن ، وعلى ترتيبها وقد أرتايت أن اعرف هذه القصيدة بأكملهاحتي لا تضيع وتكون مجالا للبحث ولعياض قصائد كبيرة نشئ الأستاذ عبد السلام شقور بعضه في كتابه[1].

3. المؤلفات المفقودة

1.3- السيف المسلول على مناسب أصحاب الرسول:

لم يذكر ولده في التعريف، ينظر كيف الظنون 1018.2 وهدية العارفين805.1 ، قال القاضي عياض رحمه الله في الغنية أخبرنا القاضي أبو علي سمعت الإمام أبا محمد التميمي رحمه يقول : يقبح بكم أن تستفيد ومنا ثم تذكرون فلا تترحمو علينا ، فرحم الله جميع ظن أخذ شيوخنا وغفر لهم[2].

2.3- الأجوبة المحبرة عن المسائل المتخيرة :

وهذا الكتاب كذلك من الكتب الذي لم يتيسر له إتمامها وقد ذكر إبنه أنه وجد منه يسيرا فضمه إلى ماوجد في بطائق أبيه أو عند أصحابه معان شاذة في أنواع شتى سئل عنها فأجاب رحمه الله.

3.3- أخبار القرطبيين.

4.3- غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسيل[3].

1- القاضي عياض: **التنبيهات المستنبطة**، ص ص 42-45.

2- مولى الخلوة مصطفى: **المرجع السابق**، ص 116.

3- القاضي عياض: **التنبيهات المستنبطة**، ص ص 45-46.

5.3- أجوبة القرطبين :

قال عنه ابنه رأيت هذه الترجمة بخطه ولم أجدها عنده مبيضة غير أني وجدتها في بطائق فجمعتها مع أجوبة غيرهم.

6.3- جمهرة رواة مالك:

هذا الكتاب ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك، وقد انطوى هذا الكتاب على أزيد من ألف وثلاثمائة راوي.

7.3- الجامع في التاريخ:

يقول القاضي عياض في ترجمة عبد الله بن ياسين القائم بدعوة المرابطين وقد بسطنا أخباره في كتاب"التاريخ"، وقد ذكره الذهبي وحاجي خليفة بإسم "جامع التاريخ"، وذكره المقري بإسم تاريخ المرابطين[1].

هذه مؤلفاته شاهدة على علو منزلته، وإن كنا لاندعوا للاستقصاء في هذا العرض.

8.3- نوازل الحضانة:

ذكره محمد بن شريفة استنادا إلى إشارة واردة في مخطوط (لمذاهب الحكام في نوازل الأحكام)، ورقة 68، وقال ألف فيها أي نوازل الحضارة القاضي عياض تأليفا مستقلا، أتى فيه على جميع معانيها وفصولها، وله فيه كلام جميل في شرح معنى الأهلية فيها[2].

ومما سبق ذكره يتضح لنا أن القاضي عياض موسوعي المعرفة ، متعدد المواهب وهذا من خلال مؤلفاته المتنوعة بين كتب الحديث وعلومه والفقه

1- القاضي عياض: **التنبيهات المستنبطة**، ص ص 45-46.

2- مولى الخلوة مصطفى: **المرجع السابق**، ص ص 115- 116.

والأحكام, والتاريخ, وغير ذلك من المصنفات العديدة الموجودة أو المفقودة التي كان لها أثرا إيجابيا وبفيت نبراسا يُقتدى به إلى زماننا الحاضر.

ثالثا: محتوى الكتاب ومكانتة العلمية (ترتيب المدارك)

بدأ القاضي عياض كتابه "**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**" بمقدمة بين فيها سبب تأليفه لهذا الكتاب كما بين أسلوبه في الكتابة ومنهجه وبعض مصادره, فيقول: أنه سعى إلى وضع كتاب حاو وشامل لأسماء أعيان المالكية، وأعلامهم، ومعرفة طبقاتهم وأزمانهم، وجميع عيون فضائلهم وأثارهم.

يبتدئ الكتاب بمدخل موضوعي وتأتي بعده ترجمة الإمام مالك، ثم ترجمة طبقات المالكية حيث يبدأ بالفقهاء من أصحاب مالك ثم تراجم أتباعهم مرتبة زمنيا وجغرافيا إلى عصر المؤلف، وقد بلغ عدد من ترجمهم ألف إسم ممن عرف إسمه، وصحت روايته، وشهرت صحبته.

كما يورد القاضي عياض معلومات غزيرة عن عدد كبير من فقهاء المالكية من بلاد المغرب والأندلس، ولذلك فالكتاب مصدر لايمكن الاستغناء عنه لدراسة نشأة وتطور المذهب المالكي في هذا الجزء من العالم الإسلامي، إضافة إلى أهميته في الحركة العلمية والفكرية في التاريخ[1].

إن وزارة الأوقاف الإسلامية قد توالت لتحقيق هذا الكتاب لما له من أهمية واسعة وتقديم إلى المطبعة جزءا في أثر جزء، إنما تنفذ بذلك رغبة سامية، ورغبة في إحياء العلم وبعث التراث، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة في بابه، وفيه يبدأ القاضي رحمه الله تراجم لعلماء المذهب المالكي ويستمر في ذلك إلى نهاية الكتاب[2].

1-عبد القادر بوباية: **المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس**، كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص ص 87-88.

2- القاضي عياض: **ترتيب المدارك، ج1**، ص ص 3-4.

ولقد أولى القاضي عياض في كتابه بمقدمة تبين فيها سبب تأليفه لهذا الكتاب، ولعل إسمه يشير إلى موضوعه، وهو معرفة أعلام مذهب مالك الذي أفرده القاضي عياض بترجمة طويلة، وعمل القاضي عياض في هذا الكتاب الذي هو موسوعة علمية لتاريخ الحياة الفكرية، لأن تراجم الكتاب لاتقتصر على ذكر حياة المترجم له وميلاده ووفاته، بل تتعدى إلى ذلك فنون من المعرفة كالتاريخ والتصوف والفقه وأحكام بعض القضاة واجتهاداتهم حيث تنوعت الموضوعات في هذا الكتاب بحيث تشمل: أخبار الصالحين والزهاد والعباد والحكام والسلاطين والنوازل الفقهية وفتاوي الفقهاء، ونصوصا أدبية شعرا ونثرا، والحياة الإقتصادية والإجتماعية المصاحبة لحياة المترجم له، إلى غير ذلك من الموضوعات.

ويعتبر كتاب المدارك كتاب طبقات بالدرجة الأولى وذلك لأن من المعروف أن هذه الكتب تؤرخ للشخصيات التي لها تأثير على حياة مجتمعهم من الناحية الإجتماعية والمذهبية والفكرية بصفة عامة[1].

1- شريفة غرم الله الغامدي: **الجوانب التاريخية والحضارية في كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض**، مذكرة لنيل درجة الماجستير، إشراف عبدالرحمان بن سليمان العجلان، التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2008م، ص ص 32،33.

الفـــصل الـــثانـي

مظاهر الحياة الفكرية والعلمية في المغرب والأندلس

أولا: الرحلات والمناظرات العلمية

ثانيا: اهتمام الخلفاء والحكام بالعلم والعلماء

ثالثا: دور المدارس في الإنتاج العلمي.

رابعا: مكانة العلماء الفكرية والثقافية.

تمهيد

أمدنا القاضي عياض بمعلومات قيمة في كتابه" ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" عن أوجه النشاط العلمي والفكري ومظاهره، فقد أشار إلى الرحلات من أجل طلب العلم، كذلك ذكر المناظرات العلمية، واهتمام الحكام بالعلم والعلماء، وكثرة الإنتاج العلمي من الكتب والمؤلفات، بالإضافة إلى انتشار أنواع من المدارس، مما يدل على مدى التقدم العلمي في عصر المرابطين في المغرب والأندلس.

أولا: الرحلات والمناظرات العلمية

أ-الرحلات العلمية:

يرى الباحث في كتاب المدارك الحركة العلمية من خلال نشاط الرحلات العلمية بين المغرب والأندلس والمشرق، وذلك في سبيل تحصيل العلوم والمعارف، ولقاء كبار العلماء المسلمين في المشرق والأخذ عنهم، ونقل كتبهم ومصنفاتهم إلى بلدانهم.

وبناءا على هذا فقلما نرى عالما أو فقيها أو أديبا من المغرب والأندلس لم يرتحل إلى المشرق ويأخذ من علمائه، وقد كان للبعض أغراضا أخرى زيادة على العلم، كالحج والتجارة والسياحة، كما كان بعض العلماء يريدون من وراء ارتحالهم إلى المغرب والأندلس خاصة، نيل مايطمحون إليه من منازل رفيعة في بلاطات الملوك والأمراء أو قد يكون سبب ذلك إلى اضطرابات سياسية واجتماعية وعسكرية في بلدانهم الأصلية فأخذوا رحالهم إلى غيرها من الأقطار والبلدان حيث الاستقرار والأمان، وهذا لايعني التقليل من إخلاصهم للعلم، فقد كانوا يرون من المفيد، الجمع بين تلك الأهداف ولقاء العلماء وتحصيل العلم ونيل درجة كبيرة من الشرف والرفعة، ولهذا قال المقدسي فيهم:" يحبون العلم وأهله، ويكثرون التجارات والتغرب"[1].

[1]- المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص 236، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 283.

فمن الذين ذكرهم القاضي عياض في كتابه "ترتيب المدارك"، وكان لهم رحلة دون حج، الفقيه سعيد بن حسان الصائغ (ت 236هـ/850م)، مولى الأمير الحكم بن هشام من أهل قرطبة ويكنى أبا عثمان، رحل إلى المشرق ومكث فيه سبعا وعشرين سنة، فروى عن عبد الله بن نافع الزهري وعبد الله بن عبد الحكم، وأشهب بن عبد العزيز، وسمع أيضا عن الإمام مالك، وكتب رأيه عن ذلك، رجع إلى الأندلس سنة 204هـ/819م[1].

وكذلك محمد بن خالد بن مرتنيل (ت 224هـ/839م)، يعرف بالأشج، رحل إلى المشرق وسمع عن ابن وهب وأشهب وابن نافع ونظرائهم من المدنيين والمصريين، وكان جل اهتمامه بالجانب الفقهي ولم يكن له علم كبير بالحديث، وولي الشرطة والصلاة والسوق في قرطبة، قال الصدفي:" قيل إنه كان يخطب عند باب المقصورة من خارج وبيده عصا، وكان صلبا في أحكامه، ورعا فاضلا، لا تأخذه في الله لومة لائم"، وبذلك حمدت سيرته وشاع بين الناس بأخلاقه وعلومه في الفقه وغيره وعلى شأنه ومكانته بين أهل قومه[2]، أيضا الفقيه محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري (ت 222هـ/837م)، يعرف باسم الأعشى ويكنى أبا عبد الله، رحل إلى المشرق في العام الذي توفي فيه مالك لطلب العلم والتفقه في الدين، فسمع من سفيان بن عيينة ووكيع ويحيى بن سعيد القطان، وعيسى بن كنانة وغيرهم، كان الغالب عليه الحديث والأثر، عرف بالوجاهة في العلم والفقه، ووصف بالجود والكرم والعطاء[3].

كذلك سعيد بن خلف الله بن إدريس بن سليمان البصري المعروف بالرياحي، من أهل سبتة، كان من اهل العلم والفضل والدين، سمع من عبد الرحيم بن احمد بن العجوز ومن أبي عبد الله الشيخ وغيرهم، كانت له رحلة وسماعا بالأندلس كان يكتب ويفتي ويلازم المساجد ويقرئ ويؤخذ منه، وكان الفقيه أبو عبد الله بن عيسى يقول:" كنت أراه في الجامع

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص 376.

[2]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 379، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 284.

[3]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 377.

قائما يصلي، وربما كان يغلق عينيه لئلا يرى ما يشغله، وكان من جملة ما يستفتى[1]، وذكر أيضا أسد بن فرات بن سنان (213هـ/828م)، كنيته أبو عبد الله، مولى بني سليم بن قيس، ويقول أسد عن رحلته إلى المشرق:" لما خرجت من المشرق وأتيت المدينة فقدمت مالكا، وكان إذا أصبح خرج آذنه، فأدخل أهل المدينة، ثم أهل مصر، ثم عامة الناس فكنت أدخل معهم، فرأى مالك رغبتي في العلم، فقال لآذنه:" ادخل القروي مع المصريين[2].

بالإضافة إلى منذر بن الحسن بن عبيد الله بن عثمان بن أبي روح الكلاعي (ت 335هـ/946م)، من الجزيرة الخضراء سمع بقرطبة من ابن لبابة، وابن خالد وغيرهم، رحل إلى المشرق فسمع من العقيلي، وابن الأعرابي والكاروي، وابن رمضان وغيرهم من العلماء بمصر والحجاز والشام والقيروان، ودامت رحلته حوالي ثماني سنوات وانصرف شور بلده، وتولى صلاته وكان من أهل الفهم والورع والعلم والثقة والفقه والأمانة والأخلاق الطيبة[3].

ومما سلف يتبين لنا أن هذه الشخصيات من العلماء والفقهاء التي ذكرها القاضي عياض لم يكن لها حج، ولكن هذا لا يمنع أن يكونوا حجوا فعلا، لأن معظمهم قد مر على بلاد المشرق، فمن المستحيل أن يمرو على مكة دون أن يحج أحدهم.

ومن الذين ذكرهم القاضي عياض وكان لهم رحلة حج مع طلب العلم والإلتقاء بالعلماء والفقهاء، الفقيه أبو حفص عمر الهوزني (ت 512هـ/1118م)، الذي كان من سكان إشبيلية وكان له فقه ورواية للحديث وعلم التفسير، وذهب للمشرق للحج فلق شيوخ سقلية ومصر وسمع بمكة عن العلماء مثل أبي محمد ابن الوليد ثم سكن شرق الأندلس[4]، وكذلك أبو جعفر أحمد بن محمد بن مغيث الصدفي (ت 459هـ/1067م)، كان من كبار فقهاء طليطلة كان حافظا بصيرا بالفتاوى والأحكام، الذي رحل إلى المشرق وحج هناك وإلتقى بعدد

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص ص 334، 335.

[2]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 270.

[3]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 115، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 285.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 364.

من العلماء وسمع منهم[1]، أيضا ذكر الفقيه أبو عبد الله محمد بن بشير القاضي (ت 198هـ/814م)، كتب في حداثته للقاضي المصعب بن عمران ثم رحل إلى المشرق، لقي مالكا وجالسه وسمع منه وإلتقى بالعديد من فقهاء مكة وأخذ عليهم العلوم والحديث والتفسير، ولم يكتفي بذلك بل كان يفقه الناس في كثير من البلدان[2].

ومنهم أبو محمد عبد الله بن سعيد بن أرباح الأموي الذي رحل إلى المشرق فجاور مكة بضعا وثلاثين سنة يثابر بالحج، وكتابة الحديث والقيام بالعلم ومجالسة العلماء والفقهاء والأخذ منهم، وأكثر من ذلك فقد اشتهر هنالك اسمه وانتفع به، وحصل على منزلة رفيعة في النسك والخير، كذلك أبو الطيب سعيد بن أحمد بن يحيى بن سعيد المعروف بالحداد (ت 428هـ/1037م)، حاز رئاسة بلده بعد أبي عمر في الفقه و الوجاهة، من بيوت العلم والشرف، قال القاضي صاعد بن أحمد كان لأبي الطيب حظ من الفقه والرواية ورحل إلى المشرق وحج هناك، وسمع من عبد الغني بن سعيد الحافظ بمصر وغيرهم من العلماء، وساد أهل بلده في وقته، وقد روى أيضا عن أبي العباس أحمد بن محمد القاضي وأبي عبد الله بن محمد بن ثمد الكرخي[3].

وقاسم بن محمد بن هشام الرعيني المعروف بابن المأموني من أهل سبتة أخذ عن عبد الرحيم بن العجوز وابن الشيخ، وابن يربوع ونضراءهم بسبتة، ورحل إلى الأندلس فسمع للعديد من العلماء أمثال ابن الدباغ وأبي محمد الباجي، ثم رحل إلى المشرق فحج ولقي مسلما المالكي وسمع من عبد الوهاب بن منير، وأبي محمد عبد الغني الحافظ، ولقد كانت له مكانة رفيعة ودرجة عالية بين الناس[4]، كذلك عبد الله بن وهب بن مسلم القريشي (ت 197هـ/813م)، مولى يزيد بن رمانة ويقال مولى بني فهر وكان يكتب إليه عبد الله بن وهب فقيه مصر، الذي قسم دهره أثلاثا، ثلثا في الرباط للتفقه وطلب العلم وثلثا يعلم الناس

---

[1]- **ترتيب المدارك**، ج2، ص 359.

[2]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 286، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 286.

[3]- **المصدر نفسه**، ج2، ص ص 314،315.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 335.

بمصر ويدرسهم العلوم المختلفة وثلثا في الحج فقد قيل أنه حج ستا وثلاثين حجة[1]، أيضا أبو عبد الله بن حسن بن جني بن عبد الملك بن جني التجبيي (ت 401هـ/1010م)، قرطبي الأصل طلب العلم بالأندلس ورحل إلى المشرق فحج هناك فسمع عن الآجري، وانصرف إلى الأندلس فقدمه ابن زرب للشورى وتقلد القضاء بجهات، والوثائق العامرية، وعيسى بن دينار العالم (ت 212هـ/827م)، الذي رحل إلى المشرق وحج عدة حجات حتى قيل عنه إن علم مالك انتشر في الأندلس به.

وهذا محمد بن يحيى الذي رحل إلى بلاد المشرق وحج عدة مرات، وسمع عن العديد من العلماء والفقهاء والمحدثين[2]، أما قاسم بن خلف الجبري (ت 371هـ/981م)، فقد من العباد الصالحين ومن فقهاء وعلماء البلد، عرف بأخلاقه الفاضلة بين أهله، طلب العلم صغيرا ورحل فحج وتوسع في طلب العلم والمعرفة، كذلك عبد الملك بن هذيل بن عبد الملك الذي رحل إلى المشرق فحج وسمع عن عدد من العلماء بمصر ومكة ثم انصرف إلى بلاد المغرب، كذلك ذكر أيضا القاضي عياض الفقيه حباشة بن حسين اليحصبي (ت 374هـ/984م)، قيل سمع بالقيروان من زياد بن عبد الرحمان بن زياد وإبراهيم ابن عبد الله القلانسي رحل إلى بلاد المشرق لأداء مناسك الحج، فسمع عن عدد من العلماء ثم رجع إلى الأندلس، فلزم العبادة ودراسة العلم والجهاد، كان فقيها في المسائل حافظا للإختلاف، عالما بالسنن والآثار والحديث[3].

كذلك أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري (403هـ/1012م)، سمع من رجال إفريقية أبو العباس الأبيان وأبي الحسن بن مسرور الدباغ، رحل إلى المشرق فحج بمكة وسمع من علمائها، كان واسع الرواية عالما بالحديث وعلله ورجاله، فقيها أصوليا متكلما مؤلفا مجيدا، كان من العباد الصالحين المتقين الزاهدين الخائفين كان أعمى لا يرى شيئا

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص 243.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 265.

[3]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 167.

وهو مع ذلك من أصح الناس كتبا وأجودها ضبطا وتقييدا[1]، أيضا أبو القاسم عبد الرحمان بن علي بن محمد الكناني المعروف بابن الكاتب، من فقهاء القيروان المشاهير، كان موصوفا بالعلم والفقه والنظر وفضله المشهور، تفقه في مسائل مذهبية، رحل إلى مكة وحج فيها، والتقى بالعديد من العلماء بمصر كأبا القاسم الطائي الذي سأله عن فروق أجوبته في مسائل مشتبهة من المذهب[2].

وأبو عبد الله محمد بن عمر سمع من الحارث بن مسكين، ومحمد بن عبد الحكم، كان ثقة، كثير الكتب في الفقه، من أهل العلم والعقل والدين، كثير التجول في البلاد، خرج من القيروان إلى المشرق لأداء مناسك الحج، و في مصر التقى بالعديد من الفقهاء والعلماء وسمع منهم[3]، كذلك محمد بن يحيى الحذاء فقد كان فقيها عالما حافظا، متفننا في الأدب حافظا للرأي، مميزا للحديث ورجاله، بصيرا بالوثائق مرسلا بليغا، وكان خطيبا مجيدا، والذي رحل إلى بلاد القيروان، ولقي العديد من العلماء، ذهب للمشرق للحج، وفيها لقي مجموعة من الشيوخ والفقهاء قيل أن عددهم بلغ ستين شيخا وفقيها، ثم انصرف إلى مصر ثم إلى الأندلس وفيها سمع عن بعض العلماء[4].

وإلى جانب ذلك أشار القاضي عياض إلى مجموعة من العلماء والفقهاء الذين لم يكن لهم لا رحلة ولا حج أمثال محمد بن أحمد اللؤلؤي الذي لم يذكر له رحلة ولا حج، وقد قيل عنه أنه كان أفقه أهل زمانه، بصيرا باللغة، بديعا بالشعر والوثائق، عالم بالسنن، مقدما في الفتاوى، له نصيب وافر من جميع العلوم، واللؤلؤي كان من المقربين بابن زرب، ويقول عليه أبو حارث: أنه كان صدر المفتيين وأرواهم وأفقههم في تلك المعاني[5]، وكذلك عبدالله بن المبارك وهو مولى بن تميم الذي لم يحج من أجل أن يتصدق بعدما عاد الناس من الحج، يقول لهم: إنه كانت بي علة ولم أحج هذه السنة، فقال بعضهم: يا سبحان الله ألم أوادعك

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 223.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 283.

[3]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 509.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 301.

[5]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 91.

نفقتي ونحن بمنى ونحن نذهب إلى عرفات، وآخر يقول: ألم تشتر لي كذا، فأقبل يقول: لاأدري ماتقولون، أما أنا فلم أحج في هذا العام، فرآى في الليل في منامه آت، فقال: يا أبا عبد الله أبشر، فإن الله قد قبل صدقتك، وبعث ملكا على صورتك فحج عنك[1].

وكذلك القاضي أبو بكر محمد بن يبقى بن محمد بن زرب بن يزيد الذي لم تكن له رحلة لطلب العلم بل أخذ علومه ومعارفه عن علماء وطنه، كان ابن زرب عالما مجتهدا ورعا عفيفا، كثير الصلاة والتلاوة، بصيرا بالعربية والحساب، حسن الخطابة، قريب الدمعة، بعيد المنظر، دقيق التفقه، مستبحرا في المسائل، حافظا للأصول، حاذقا بالفنون، وألف كتاب الخصام المشهور في الفقه على مذهب مالك عارض به كتاب الخصال لابن كاوس الحنفي[2].

كذلك أبو عبد البر من علماء الأندلس وكبار محدثيها وأحفظ من كان بها لسنة مأثورة، رحل عن وطنه قرطبه بسبب الفتنة فكان في غرب الأندلس، وكان قائما بعلم القرآن، وألف تواليف مفيدة طارت في الآفاق، لم تكن له رحلة ولا حج، عرف بطلب العلم والدأب فيه، وبرع في بعض العلوم أكثر من رجال الأندلس[3]، ومما سبق يتضح لنا أن هؤلاء العلماء لم يرتحلوا إلى المشرق بل اكتفوا بأخذ علومهم ومعارفهم عن علماء وطنهم.

وفي الأخير يتبين لنا أنه كان للرحلات بين المشرق والمغرب والأندلس أثر كبير في ازدهار تنشيط الحركة العلمية، فقد كان أولئك العلماء المشارقة الراحلين إلى بلاد المغرب والأندلس أو المغاربة الراحلون للمشرق يحملون معهم الكثير من العلوم والمعارف بمختلف أنواعها.

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص ص 169-172.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 233، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 287.

[3]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 352.

ب-المناظرات العلمية:

تعتبر المناظرات العلمية جانب من الجوانب الثقافية الهامة في بلاد المغرب والأندلس وبلاد المشرق، فهي تدل على مدى تطور الفكر العلمي والتوسع في العلوم والغوص في مسائلها المختلفة، وهي من أسس وطرق التعليم، ففيها يطرح العالم أو الفقيه مسألة من مسائل العلم أو حديثا من الأحاديث، ثم يقوم بطرح الأسئلة حول ذلك للوصول إلى أصح الآراء العلمية والفكرية.

وقد أشار القاضي عياض في كتابه إلى بعض الأماكن التي كانت تعقد فيها العلمية والفقهية، فقد تكون تحت رعاية الحكام والأمراء، وتعقد تلك المناظرات في البلاط وأماكن تواجد الحكام، تكون بأمر منهم، فذكر أن ابن أبي عامر كان يقيم مجالس المناظرة حول موطأ الإمام مالك، كما ذكر أن الملك عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديملي، كان يعقد للفقهاء والعلماء مجالس المناظرة تحت وصايته، كذلك كان المعز يجمع بعض العلماء والفقهاء والأدباء عنده في المقصورة ليناظروه في مسائل وقضايا تخص تلك العلوم والمعارف[1].

وذكر القاضي عياض أن بعض المناظرات قد جرت في بستان من بساتين العلماء، فيحيى بن عبد الله كان يطعم الطلبة من ثمار بستانه إذا أتم مجلس المناظرة، وأيضا محمد بن سعيد العصفري الذي سمع من قاسم بن أصبغ، ومحمد بن أبي دليم وغيرهما، وكان حافظا للمسائل مفتيا في السوق بقرطبة، ويجتمع إليه في المناظرة في الجامع[2]، كذلك عبد الرحمان بن سعيد المرواني (ت 355هـ/966م)، لقب بالمدروي ويعرف بالطالوتي لمذهب مالك، كان يفقه العامة، ويجتمع إليه الناس في مسجده للمناظرة ويعقد للشروط مع فضل وعفة وصبر على القلة وانقباض[3].

---

[1]- الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 288.

[2]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 189.

[3]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 358.

وكذلك العالم والفقيه القيرواني عبد الله بن طالب بن سفيان بن سالم، تفقه من العالم سحنون وكان من كبار أصحابه، لقي العديد من فقهاء مصر وسمع منهم، وقد كان بن طالب لقنا فطنا، جيد النظر، يتكلم في الفقه، حريصا على المناظرة فيجمع في مجلسه المتخلفين في الفقه، ويغري بينهم لتظهر الفائدة[1].

ومما سبق يتبين لنا أن المناظرات العلمية لم تكن في الجوامع فقط، بل كانت تقام وتعقد في العديد من الأماكن التي يحضرها العلماء والفقهاء وتلاميذهم، ويرتاح لها المعلم والمتعلم، فقد كانت في المنازل والبساتين ومجالس الحكام والأمراء.

وقد أشار القاضي عياض إلى مجموعة من القضاة الذين كانوا يجتمع الناس إليهم للمناظرة وأخذ العلوم، فمنهم القاضي محمد بن يحيى بن خليل (ت 365هـ/975م)، قرطبي الأصل، سمع من قاسم بن أصبغ ومحمد بن أبي دليم وغيرهما، كان فقيها حافظا معتنيا بالرأي، يفتي في السوق ويجتمع إليه في المناظرة[2]، كذلك عبد الله بن أبي حسان اليحصبي الذي كان قويا على المناظرة ذابا عن السنة متبعا لمذهب مالك، شديا على أهل البدع، قليل الهيبة للملوك لايخاف في الله لومة لائم، دخل مرة على الأغلب فإذا الجعفري والعنبري يتناظران في القرآن، فقال الجعفري: إذا شيخنا أبو محمد يعينني عليكم، فقال ابن أبي حسان للعنبري: ما أنت وذا؟ هذا بحر عميق، عليك بكذا كذا. فقال: إن كان معه أبو محمد فهذا الأمير معي، فقال ابن أبي حسان: ما للملوك والكلام في الدين، فاحفظ ذلك الأغلب، ثم قال: من أتى السلطان فهو مثله، فقال ابن أبي حسان: إنما أتاكم الآتي، لأنكم خير ممن هو شر منكم، ولو أتى من هو شر منكم أتاه الناس، ولم يأتوكم[3].

كذلك أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد اللواتي المعروف بالخرقي، من كبار الفقهاء والمحدثين وكان يعتبر من أسند من كان معه في وقته، مع القابسي وابي ذر الهروي، وكان

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص 480.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 190.

[3]- **المصدر نفسه**، ج1، ص ص 278-280، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 289.

يجتمع إليه بالقيروان ويتناظر عنده المشيخة والفقهاء وطلبة العلم[1]، كذلك القاضي القيرواني طيب بن محمد بن هارون بن عبد الرحمان بن عبيدة الكناني من أهل بيت علم وشرف كبير، عرف بحدته وقوته في المناظرة، والحكمة والأدب في إقناع منافسيه أو طلبته في المناظرة[2].

وقد ذكر أيضا عبد الملك بن سياخنح بجاني أبو مروان، الذي صحب فضلا وتفقه عنده، وكان حافظا للفقه متصرفا فيه، بديعا في العربية، قائما بالعبادة، وقد رحل إلى المشرق فسمع فيها عن بعض الفقهاء والعلماء، وناظر ابن الحارث في الفقه[3]، كما كان عيسى بن خلف ابن أخت أبي أبينة الإشبيلي حسن المناظرة، فقيها حافظا للمسائل وعالما بها، متقدما في الفتاوى، سمع بقرطبة من ابن لبابة، وبأشبيلية من خالد وابن القون، أثنى عليه أبو محمد الباجي وكان جميل المذهب[4].

أيضا الفقيه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الذي كان أعلم أصحاب مالك، ولابن عبد الحكم سماع من مالك الموطأ، ونحو ثلاثة أجزاء، وروى عن ابن وهب وابن قاسم وأشهب كثيرا، وصنف كتابا اختصر فيه أسمعته، ثم اختصر منه كتابا صغبرا وعلى هذين الكتابين وغيرهم، الذي كانت له مناظرة في الفقه[5].

ومن المناظرات التي أشار إليها القاضي عياض أن إبراهيم بن حسين بن مرتنيل (ت 249هـ/863م)، قد ناظر يحيى بن يحيى حول حول مسألة جواز النكاح على أن الصداق إجازة، فقال يحيى: قال الله تعالى (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)[6]، فلا يلزمنا شرعهم،

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 331.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 117.

[3]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 111.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 114.

[5]- **المصدر نفسه**، ج1، ص ص 304،305.

[6]- **سورة المائدة**، الآية 48.

فقال إبراهيم: ذلك إذا عن نبينا نسخ ذلك، وإلا فعلينا الاقتداء بهم قال الله تعالى (فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ)[1]، فسكت يحيى[2].

كما أن ابن المعلم شيخ الرافضة ومتكلمها حضر بعض مجالس النظر مع أصحاب له، إذ أقبل القاضي أبو بكر الأشعري فالتفت ابن المعلم إلى أصحابه، فقال لهم: جاءكم الشيطان، فسمع القاضي الكلام، وكان في بعد من القوم، فلما جلس أقبل على ابن المعلم وأصحابه وقال لهم: قال الله عزوجل (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا)[3] صدق الله العظيم.

وفي ترجمة أبو بكر الأبهري (ت 375هـ/985م)، ذكر القاضي عياض أنه قد تناظر رجل من أهل السنة مع رجل معتزلي، فطال بينهما الكلام، فجاء المساء فلم يظهر أحدهما على صاحبه، فقال السني: هذا مجلس انقضى على غير فلح وقد حضرنا قوم صالحون فلنخلص الدعاء للمحق منا، بأن يثتب الله تعالى القرآن في صدره، وينسيه المبطل فدعونا، قال الأبهري: فأقر لي المعتزلي بعد ذلك أنه نسي القرآن حتى كأنه ما رآه قط[4].

كما ذكر في ترجمة محمد بن سحنون الذي كان إماما في الفقه عالما بالآثار، صحيح الكتاب، ولم يكن في عصره أحذق منه بفنون العلم والمعرفة، كان يغلب عليه المناظرة وحسن وقوة الحجة في مخاطبة الناس، كان يرد على أهل الأهواء، كما ذكر أن رجلا من أصحاب محمد بن سحنون دخل بمصر حماما عليه رجلا يهوديا، فتناظر معه الرجل فغلبه اليهودي لقلة معرفة الرجل، فلما حج محمد بن سحنون صاحبه الرجل فلما دخل مصر، قال له: إمضي بنا أصلحك الله إلى الحمام الذي عليه اليهودي، فلما دنا خروج محمد، سبقه الرجل وأنشب المناظرة مع الرجل حتى حانت، الصلاة فصلى صلاة الظهر، ثم رجع معه إلى المناظرة حتى حانت صلاة العصر فصلاها، ثم كذلك العشاء، ثم إلى العشاء الآخر، ثم

---

[1]- **سورة الأنعام**، الآية 90.

[2]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص 444.

[3]- **سورة مريم**، الآية 83.

[4]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 124.

إلى الفجر، وقد اجتمع الناس وشاع الخبر بمصر"الفقيه المغربي يناظر اليهودي"، فلما كانت صلاة الفجر انقطع اليهودي، وتبين له الحق وأسلم، فكبر الناس وعلت أصواتهم فخرج محمد وهو يمسح العرق عن وجهه، وقال لصاحبه: لا جزاك الله خيرا، كاد أن يجري على يديك فتنة عظيمة، تناظر يهوديا وأنت بضعف، فإن ظهر عليك اليهودي لضعفك، افتتن من قدر الله فتنته[1].

وفي الأخير يتضح لنا أنه لا بد أن يكون المناظر ذا علم ودين وفقه وأدب الكلام لكي تقوى حجته، لأنه ليس بإستطاعة كل إنسان أن يناظر خصوما من غير المسلمين، وقد تكون هذه المناظرات سببا في وقوع الفتن والمشاكل بين العلماء والفقهاء، ففي عهد المنصور بن أبي عامر وقعت فتنة بين بعض العلماء، اضطر فيها المنصور أن يبعث مجموعة منهم من العلماء الأندلسيين إلى بلاد المغرب[2].

وقد كان عبد الله بن غانم بن شراحيل بن ثوبان كان من أهل العلم والدين والفضل والورع والتواضع والفصاحة والجزالة، الذي كان يجعل لخصومات النساء يوما يجلس فيه للمناظرة بينهن.

ثانيا: اهتمام الخلفاء والحكام بالعلم والعلماء

يلاحظ في كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك ازدهار ونشاط الحركة العلمية والثقافية وذلك من خلال اهتمام الخلفاء بالعلم والكتب، فقد ذكر القاضي عياض إلى أن المستنصر بالله كا في شبابه ينافس طلاب العلم في الأخذ عن العلماء، فقد كان يسمع من العالم والفقيه أحمد بن دحيم بن خليل بن عبد الجبار بن حرب بن أبي حرب، الذي سمع عن العديد من العلماء والفقهاء أمثال سعيد بن خمير وطاهر بن عبد العزيز وأبي صالح وأحمد بن خالد، وابن لبابة وغيرهم رحل إلى المشرق، فسمع بمكة عن الديلمي والعقيلي وابن

[1]– القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص ص 224–429.

[2]– الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 291.

الأعرابي، حيث قال القاضي عياض: "وسمع منه الحكم المستنصر جل ما عنده"، كما أن الغزوات والحروب، لم تكن تشغل المستنصر عن طلب العلم والمعرفة والتفقه في الدين، فقد كان يصطحب العلماء معه في الحروب[1].

وقد ذكر القاضي عياض أنه كان يجالس العالم إسحاق بن إبراهيم بن مسر(ت 354هـ/965م)، وكان يصطحبه في جل غزواته ومعاركه، وذلك من أجل طلب العلم ومعرفة أحكام الشريعة الإسلامية[2].

كما اهتم الحكم بالعلم، اهتم أيضا بإقتناء الكتب وتآليفها ومعرفة كل صغيرة وكبيرة عن مؤلفها فقد كانت له مكتبة يستأجر فيها الفقهاء والعلماء للعمل فيها، وذلك من أجل المقابلة بين الكتب لتصحيح الأخطاء، وكان يصرف لهم رواتب من خزانة الدولة، كما تولى الفقيه عمر بن محمد بن إبراهيم بيع الكتب للحكم[3]، أما محمد بن الحارث بن إسماعيل الذي تفقه بالقيروان على يد أحمد بن نصر وأحمد بن زياد، وسمع عن ابن أيمن وقاسم بن أصبغ، ثم رحل إلى الأندلس وإستقر بقرطبة، كان حسن القياس في المسائل والقضايا، فقد ولاه الحكم المواريث ببجانة وولي الشورى بقطبة ألف للحكم تواليف حسنة، وقيل أنها بلغت حوالي مائة ديوان، منها كتابه الإتفاق والإختلاف في مذهب مالك، وكتابه تاريخ قضاة الأندلس، وكتابه تاريخ الإفريقيين، وكتاب النسب، وكتاب الإقتباس[4].

كما ذكر الفقيه محمد وعبد الله ابني أبان بن عيسى بن محمد بن دينار، الذي رحل إلى المدينة، وسمع من ابن كنانة، وابن الماجشون ومطرف، وقد كان يغلب عليه الزهد والورع

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 94.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 66.

[3]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 39.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 167، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 292.

والفقه، وكان كثير العمل كثير الصيام، الذي كلفه الحكم باختصار الكتب المطولة التي ألفها بن يحيى بن إسحاق بن يحيى[1].

وكان قد سقط إلى الحكم كتاب من رأي مالك، ابتدأه بعض أصحاب إسماعيل القاضي، وبوبه وقدره ديوانا جامعا لقول مالك خاصة، وقد كتب المؤلف منه مقدار خمسة أجزاء، ولكنه مات قبل أن يكمل الكتاب، فلم رأه الحكم أعجب بأخلاقه الفاضلة وبساطة معيشته، فقد حرص على إكمال الفائدة به، فذكلر به قاضيه ابن السليم وسأله هل عندهم من يكمله على الرغبة؟ فقال له: نعم بشرط إباحة أمير المؤمنين، خزانة كتبه للبحث عن أقوال مالك، فأذن له الحكم بذلك، فسمى له العالمين أبا بكر المعيطي والفقيه أبا عمر ابن المكوي، فمكنهما من الأسمعة، وألف كتاب الإستيعاب الكبير في مائة جزء، بلغا فيه النهاية، وكان بين أيديهما راو مجيد لتبييض ما يدونانه، فلما تم الكتاب سر به الحكم، ووصل كل واحد منهما بألف دينار ومنديل بكسوة وقدمهما للشورى.

كذلك القاضي أبو بكر ابن السليم (ت 367هـ/977م)، الذي كان حافظا للفقه بصيرا بالاختلاف، عالما بالحديث، ضابطا لما رواه، متصرفا في علم النحو واللغة، حسن الخطابة والبلاغة، لين الكلمة متواضع، وكان مع ذلك ذا غور ودهاء وسمع منه كثير، فقد أستخدمه الحكم في المقابلة، لدواوين بين الحكمة الذي حوى من كتب العلم ما لم يحوه بين ملك وأجرى عليه رزقا، كما دخل ابن السليم يوما على الحكم وهو ينظر في كتاب يحتوي على مسائل صعبة في الفرائض، فألقى عليه أول مسألة، فأجابه كأنه يقرأها معه في الكتاب، إلى أن أتى على آخرها فأعجب به، وقال: أنت من الراسخين في العلم[2].

كما اهتم هشام المؤيد بالله بن الحكم بالتعلم وطلب المعرفة وذلك على أيدي الفقهاء والمدرسين، حيث ذكر القاضي عياض أنه كان يتعلم ويسمع من العالم أبي عيسى يحيى الذي غلبت عليه الرواية وسمع من عم أبيه، عبيد الله بن يحيى ومحمد بن لبابة وأسلم بن

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص 453.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 174.

عبد العزيز ورحل إليه الناس من جميع مناطق بلاد الأندلس[1]، كما أشار القاضي عياض أنه نقل من خط الحكم المستنصر بالله بعض المعلومات حول إسم القاضي عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن عباس بن مرداس السلمي، وذلك إستشهادا لقول الحكم عن بعض أقوال الفقهاء، نحو قوله:"ونقلت عن خط الحكم المستنصر بالله، أنه عبد الملك بن حبيب بن ربيع ابن سليمان"[2].

كذلك اهتم المنصور بن أبي عامر بالعلم والعلماء ومن أمثلة ذلك ان موسى بن أحمد الوتد، قد قلد الشورى، وتصرف في دفع كتب المظالم إلى المنصور، فقد كان بصيرا بالشروط، نبيلا فيها حافظا يقظا، حازما في أموره، حسن العاملة مع إخوانه[3]، وأيضا الفقيه محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن العطار، الذي أمره المنصور بالمجيء إليه كل يوم ثلاثاء، لتعليمه الفقه والحديث وبعض العلوم الأخرى[4].

كما تخير ابن المكوي هو وقوم من الفقهاء صدر خلافة هشام، أيام ابن أبي عامر لامتحان خزانة العلم وتفتيش ما فيها من آلات العلم والمعرفة وترتيبها على مواضعها مرتبة على أخرى حتى تصل إلى أشكالها، أما عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون (ت 405هـ/1014م)، من أهل الأندلس وكان أحد أصحب ابن دكوان، ولي كتابة المعتضد ابن عباد وابنه المعتمد، ولي بعده الوزارة، وقتله المرابطون عند دخولهم عليه في قرطبة حيث قتل المأمون بن المعتمد بن عباد[5].

ثالثا: دور المدارس في الإنتاج العلمي

أ-المدارس:

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 89.

[2]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 381.

[3]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 250.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 246.

[5]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 294.

تتفق المصادر التاريخية مع القاضي عياض في تقسيم المراحل التعليمية التي يمر بها الطفل منذ صغره إلى ثلاث مراحل، **فالمرحلة الأولى** يتعلمها الطفل في البيت أو في المكتب[1]، وقد ظهر المكتب في بلاد المغرب الإسلامي، خاصة في الأندلس في فترة مبكرة من الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية، وأن تحديد سنة واحدة معينة لذهاب الأطفال إلى المكتب عملية صعبة جدا، على الرغم من أن الآباء كانو حريصين على أن يبدأ أولادهم التعليم في سن مبكرة، ويرى ابن خلدون أهمية التعليم في الصغر فيقول:"وسبب ذلك أن تعليم الصبي في الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده"، ومن الأمثلة على ذلك أن الإمام البخاري غادر الكتاب عندما كان ابن عشر سنوات وقد حفظ عددا من كتب الحديث وهو ابن ست عشر سنة[2].

أما القاضي عياض فيذكر أن يحيى بن هذيل، قد قال الشعر وهو في المكتب فكان معلمه يعجب منه، إلا أن دخل عليه يوما رجل من حكماء وقته، فأخبره بخبره، فقال له: أرنيه، فقال له: لا، ولكن تفرصه في صبيانه، فقال: إن كان فهو ذلك، فقال له المعلم: صدقت[3].

كما يذكر القاضي عياض أن المكتب هو المكان الذي يسمع فيه الطلبة من العلم ثم يكتبون ما يسمعون، ففي ترجمة محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن السائب الشافعي، حيث قال محمد:" كنت وأنا أسمع المعلم يلقن الصبي فأحفظ ما يقول، ولم يكن عند أبي ما يعطي وكنت يتيما، فكان المعلم يرضى مني بأن أخلفه إذا قام، ولقد كانوا يكتبون، وقبل أن يفرغ المعلم من الإملاء حفظت ما كتبت"، وقد أقتدى بمالك حيث يذكر محمد بن إدريس أن الإمام مالك بن أنس هو معلمي وفي رواية أخرى هو أستاذي، وكان أهم ما يدرس للصبيان

---

[1]–المكتب: عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الأطفال، قد يكون غرفة فالمنزل ، أو حانوتا يكترى، أو فيناء أو غيرذللك من الأماكن التي تكون مهيأة لتلقي العلم والتربية السليمة من قبل المؤدبين. أنظر الزبيدي: **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد ابراهيم، ط2، دار المعارف، 1972م، ص 254.

[2]– ابن خلدون: **المقدمة**، تح: علي عبد الواحد الوافي، ط7، نهضة مصر للنشر، الجيزة، 2014م، ص ص197 – 199، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 294.

[3]– القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 180.

هو حفظ القرآن على الطرق الفردية والجماعية، حيث يبدأ المعلم أو مدرس القرآن بقراءة آية ثم يقوم الصبيان بترديدها من بعده، وكان لكل صبي لوح يدون فيه، يثبت فيه ما يريد أن يحفضه ثم يمحو ليكتب شيئا جديدا.

وهنا يتبين لنا أن مدرس القرآن خلال أعوامه الأولى يعتمد على التلقين والحفظ في الوقت الذي يعمل فيه على تعليم الطفل القراءة والكتابة حتى يصل إلى درجة يستطيع فيها الكتابة بعد الإملاء[1].

أما بالنسبة **للمرحلة التعليمية الثانية** تتميز بكونها غير منظمة وتعطي المعلم والمتعلم حرية واسعة وتسمى هذه المرحلة نظام الحلقة، وقد ساد هذا النظام في كل أرجاء العالم الإسلامي سواءا في بلاد المغرب أو الأندلس أو بلاد المشرق، و قد إقتصر على الطلب الكبار الذين كانوا يدرسون علوم الدين والفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة والعلوم العقلية كالمنطق والفلك والطب والحساب والفلسفة، أما عن طرق التعليم في هذه المرحلة فكانت تنقسم إلى ثلاث مراحل الأقراء وهو أشهر هذه الطرق ويتلخص في أن يمسك المعلم الكتاب ويقرأ منه ويدون المتعلمين ما يسمعون وبعدها يقوم بتصحيح ما كتبوه، الإملاء وهي أن يقوم الأستاذ إلى القراءة من ذاكرته دون الرجوع إلى الكتاب، الحوار وهي طرح الأسئلة من طرف المتعلمين على الأستاذ ويقوم هو الأخير بالإجابة عنها[2].

أما **المرحلة التعلمية الثالثة** فهي ليست إلا إمتدادا للمرحلة الثانية لكنه تتميز عنها بإرتفاع سن طلبتها، ومكانة الشيوخ الذين يتولون التدريس فيها، كما أنها تتميز بأنها إستكمالية، إذ أنها فترة يحاول فيها المتعلم أن أن يستكمل دراسته التي يعتقد أنه لم يستكملها من قبل كما أنها عملية تجديد مستمرة لمعلومات المتعلم ولذلك فهي لا تتميز بسن محدد ولا حتى بمكان معين.

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص ص 221-224.

[2]- حارث علي عبد الله: "**التعليم في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتب الفتاوى**"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج9، ع4، (2019م)، ص 6-7.

وقد أشار القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك إلى مجموعة من العلماء والفقهاء الذين كان لهم حلقات للتعليم فمنهم العالم عيسى بن محمد بن عبد الرحمان الذي كان من أهل الأدب والعلم، راسخا في الرأي، بصيرا بالوثائق، وارعا منقبضا، كان من خيار المسلمين والمؤمنين، بصيرا بالإختلاف، عاملا للمسجد الجامع لتفقيه الناس وفتياهم، إماما في المذهب المالكي[1]، وأيضا الفقيه ابن العطار الذي إلتزم الصلاة في المسجد ويكثر القعود فيه لتفقيه الناس وتعليمهم قواعد الإسلام، فقد سئل ابن العطار عن مسألة من السهو في الصلاة، فأفتى فيها بسجود السهو، فقال له السائل: إن أصبغ بن الفرج الطائي لم ير علي سجودا، فرد عليه ابن العطار[2] (كَلَّا لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبِ)[3] صدق الله العظيم.

وكذلك محمد بن يوسف بن مطروح بن عبد الملك الذي كان شيخا جليلا، عالما بالفقه، فيه صلابة، أخذ عنه أحمد بن خالد، ومحمد بن عمر، ابن لبابة، كان محمد يحلق بالجامع، أي يتحلق حوله طلبة العلم بالجامع، كان يفتي ويقرأ عليه العلم والفقه[4]، كما ذكر أيضا محمد بن محمد أبو الوليد كان قليل العلم، وسَمِعَ وسَمّع وله رحلة، ومنهم عثمان بن عبد الرحمان بن عبد الحميد بن أبي زيد متقدم في الفتيا، فحلق في جامعها، كان نظير أبي زيد في وقته في القدر والعلم، موصوفا بالفضل[5].

بالإضافة إلى ربيع القطان هو أبو سليمان ربيع بن عطاء الله، كان من أهل الورع والدين، عالما بالقرآن وقراءته وتفسيره ومعانيه، حافظا للحديث، عالما بمعانيه وعلله ورجاله وغريبه، معتنيا بالمسائل والفقه كانت له بجامع القيروان حلقة يحضرها أبو القاسم بن شبلون والذي وصفه بالتقى والتفقه، وجودة الذهن والتفقه الجيد والضبط[6]، وهذا عبد الله محمد بن مسرور النجار الذي كان مذهبه الدرس والحفظ والمناظرة، وقيل أنه كان شيخا فقيها عالما

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 245.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 249.

[3]- **سورة العلق**، الآية 19.

[4]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص 447.

[5]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 452.

[6]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 33.

بالحجة والنظر، ولم يكن صاحب كتب ورواية، وإليه أسندت إليه الحلقة بعد أحمد بن نصر[1].

وأيضا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم كان من العلماء الفقهاء، مبرزا من أهل العلم والنظر والمناظرة والحجة فيما يتكلم فيه ويتقلده من مذهبه، وإليه كانت الرحلة من المغرب في العلم والفقه من الأندلس، وإليه كانت الرحلة من المغرب في العلم والفقه من الأندلس، ووجدت له حلقة قائمة بجامع مصر[2]، والفقيه يحيى بن عمر الكناني الذي كان يجلس بجامع القيروان، ويجلس القارئ على كرسي يسمع عن بعد من الناس بكثرة ما يحضره[3].

وأيضا العالم أبو الأزهر عبد الوارث بن حسن بن أحمد الأزدي، كان رجلا صالحا خيرا، وكان من الأئمة الراسخين ذا فقه بارع وعلم بالأصول، مجودا بالوثائق والأحكام، وعالم بالقضاء، صاحب أبا بكر بن لباد، وأبا عبد الله بن مسرور، وأبا محمد بن أبي هشام، ولم تكن له دنيا، وكان عيشه من الوثائق، كان يقيم الحلقات بجامع القيروان أيام أبي زيد وذلك لتعليم الناس الفقه والحديث وأحكام الشريعة الإسلامية[4]، وأبو المطرف عبد الرحمان بن هارون بن عبد الرحمان الأنصاري المعروف بالقنازعي منسوب إلى صنعته، تفقه بالأصيلي وابن المكوى وغيرهم من الأندلسيين، رحل إلى المشرق ولقي ابن أبي زيد القيرواني، وأخذ منه، وحج وسمع بمصر من أبي علي المطرزي، قيل أنه دخل مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط، وفيه مجالس المالكية في الفقه والحديث وولي حوالي عشرين حلقة[5]، كما كان أبو الفضل بن عمروس رحمه الله الذي عرف أنه فقيه صالح، شاطر بمسائل الخلاف، صاحب حلقة المالكيين بجامع المنصور، وله تعليق حسن، كبير مشهور في المذهب والخلاف[6].

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 39.

[2]- **المصدر نفسه**، ج1، ص ص 399-400.

[3]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 456.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 166.

[5]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 296.

[6]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 321.

وأحيانا تكون هذه الحلقات في جنة الفقيه التي يشتغل فيها بنفسه، ويطعم طلابه منها، فالفقيه علي بن عيسى بن عبيد التجيبي كان له جنة يعمل فيها بيده، وكان الطلبة ينهضون بها، كما كان يحيى بن عبد الله يطعم تلاميذه من ثمار بستانه إذا أتم مجلسه. أما عن عدد الطلبة في الحلقة فيشير القاضي عياض في أن عددهم قد وصل أحيانا ثلاثمائة طالب، ففي ترجمة عبد الملك بن حبيب ذكر القاضي عياض أنه كان يخرج من الجامع وخلفه نحو ثلاثمائة طالب يتعلمون الفقه والحديث والإعراب.

كما أشار القاضي عياض في كتابه إلى عدد المدرسين في المدارس، فهذا إسحاق بن يحيى بن إبراهيم كان من مدرسي مدينة سرقسطة وفقهائها ومشاوريها وسمع منه وضاح بن محمد الرعيني وغيرهم[1]، كما كان الفقيه إبراهيم بن حسن التونسي الذي تفقه على يد أبي عمران الفاسي، ودرس الكلام والأصول عن الأزدي، وكان جليلا فاضلا، إماما صالحا، وقد كان يدرس بالقيروان، وكان مستشارا بها مع بقية الشيوخ[2]، وكذلك العالم محمد بن رباح بن صاعد الأموي، كان موصوفا بالصلاح والفضل، واعتنى بالعلم والرواية والحفظ لمذهب الإمام مالك، واستفتي ببلده، وكان له المدونة باختصار، وكان مشهورا بطليطلة ويدرس بها العلوم والمعارف المختلفة[3].

وهذا الأخير أبو بكر الأبهري سكن ببغداد وحدث بها عن أبي عروبة الحراني ومحمد بن محمد الباغندي وسمع عن الصابوني وأبي بكر بن الجهم الوراق، ولي في جامع المنصور ببغداد ستون سنة يدرس ويعلم الناس الفتاوى والأحكام والأصول والفروع وسنن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم[4].

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 319، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 297.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 323.

[3]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 122.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 124.

ب-الإنتاج العلمي:

أوضح كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض مدى التقدم العلمي والفكري في بلاد المغرب والأندلس، حيث ألقى الأضواء على الجوانب الثقافية، وذلك بذكر بعض المؤلفات والكتب والمصنفات التي ألفها العلماء والفقهاء في مختلف العلوم والمعارف. ومن بين أبرز المؤلفين في المغرب والأندلس محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة الذي رحل وسمع في القيروان، وكان أحفظ أهل زمانه للمذهب المالكي، عالما بعقد الشروط، بصيرا بعلله، وله في الفقه كتب مؤلفة منها: المنتخبة، كتاب في الوثائق، وقد أثنى البعض على كتابه المنتخبة فقيل أنه ليس لأصحابه مثلها، وهي على مقاصد الشرح لمسائل المدونة[1]، كما يذكر أن الفقيه عيسى بن دينار الذي كان عالما زاهدا مفتيا حج حجات وولي قضاء طليطلة للحكم، والشورى بقرطبة، ولعيسى سماع من ابن قاسم عشرون كتابا، وله تآليف عديدة في الفقه منها: كتاب الهدية إلى بعض الأمراء الذي يحتوي على عشرة أجزاء، وله كتاب آخر وهو الجدار[2].

وذكر القاضي عياض أن عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن عباس بن مرداس السلمي، ألف كتب كثيرة في الفقه والتواريخ والأدب، ومنها كتب سميت بالواضحة في السنن والجوامع، وكتاب فضائل الصحابة، وكتاب غريب الحديث، وكتاب سيرة الإمام في الملحدين، وكتاب طبقات الفقهاء والتابعين، وكتاب مصابيح الهدى، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب الحسبة في الأمراض، وكتاب الفرائض، وكتاب السخاء واصطناع المعروف، وكتاب كراهية الغنا، وكذلك كتاب المغازي والناسخ والمنسوخ، وأيضا كتاب السلطان، وكتاب الرغائب، وكتاب الورع في العلم، وغيرها كثير، وقيل أن مؤلفات ابن حبيب وصل عددها إلى الألف وخمسون كتابا[3].

---

[1]- لقاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 80.

[2]- **المصدر نفسه**، ج1، ص ص 373-375، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 301.

[3]- **المصدر نفسه**، ج1، ص381.

أما أبو عبد الله الحذاء واسمه محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب التميمي كان فقيها عالما حافظا، متفننا في الأدب، حافظا للرأي، له العديد من المؤلفات منها: كتاب الاستنباط لمعاني السنن والأحكام وهو شرح لكتاب الموطأ في ثمانية أجزاء، وكتاب التعريف برجال الموطأ فيه أربعة أسفار، وكتاب البشرى في عبارة الرؤيا وهو شرح كتاب الكرماني يحتوي على خمس عشر جزء، وكتاب الأنباء على أسماء الله تعالى، وكتاب الخطب والخطباء[1].

وكذلك الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله أبو عمر الطلمنكي الذي له تآليف كثيرة نذكر منها: كتاب الدليل إلى معرفة الجليل نحو مئة جزء، كتاب تفسير القرآن، كتاب البيان في إعراب القرآن، كتاب فضائل مالك ورجال الموطأ، كتاب الرد على ابن مسرة، كتاب الوصول إلى معرفة الأصول[2].

والفقيه عبد الله بن أبي القاسم بن مسرور التجيبي المعروف بابن الحجاج رحل إلى مصر وسمع منهم، وكان له كتب كثيرة بأنواع العلوم، وقد ترك سبعة قناطير، فلما توفي دفعت جميعها إلى سلطان وقته، ولم يشر القاضي عياض في مداركه إلى إسم هذا السلطان، لكن إذا عدنا إلى تاريخ وفاة هذا العالم الفقيه الجليل نجد أنه توفي عام (ت 346هـ/957م)، وبهذا حسب رأينا نستطيع أن نقول أن المقصود بالسلطان في هذه الفترة هو المعز لدين الله العبيدي، وذلك لأن عبد الله التجيبي مات أثناء فترة تولي هذا السلطان الحكم، فالمعز لدين الله حكم من سنة (343-365هـ/954-975م)، وتعتبر هذه الفترة الزمنية هي الأقرب[3].

---

[1]- لقاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 301.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 312.

[3]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 44، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 302.

وكذا عبد الله بن أبي زيد الذي كانت له ولأخيه عمر بن القيروان مكانة جليلة بأبيهما وتقديمهما، وولي قضاء القيروان، ولم يكن فيما بلغني إلا بمحمود السيرة، وقد رويت عنه كتب كثيرة عن أبيه، الذي كان قد أدركه صغيرا[1].

وأبو عبد الله محمد بن عبد بن عبد الحكم وقيل أنه كان من أهل العلم والمناظرة، أهل صدق وثقة، له العديد من المؤلفات في فنون العلم والرد عن المخالفين، كلها حسان ككتاب أحكام القرآن، كتاب الوثائق والشروط، كتاب مجالسة أربعة أجزاء، كتاب الرد على الشافعي، فيما خالف فيه الكتاب والسنة، وكتاب الرد على أهل العراق، كتابه الذي زاد على مختصر أبيه، كتاب أدب القضاة، كتاب الدعوات والبيانات، كتاب اختصار كتاب أشهب، كتاب السبق والدين، كتاب الرد على بشر المريسي، كتاب الصوم، كتاب الكفالة، كتاب الرجوع عن الشهادات، وكتاب المؤيدات[2].

وأيضا محمد بن سحنون الذي له تآليف كثيرة منها: كتابه المسند في الحديث، كتاب المشهور الجامع جمع فيه فنون العلم والفقه، كتاب تفسير الموطأ فيه أربعة أجزاء، كتاب المعلمين، ورسالته في السنة ورسالته في أدب المناظرة وهي جزآن، وكتاب الحجة على القدرية، وكتاب الحجة على النصارى، وكتاب الإباحة، وكتاب الرد على البكرية، وكتاب الورع، وكتاب الإيمان والرد على أهل الشرك،

وكتاب الرد على أهل البدع، وكتاب طبقات العلماء يحتوي سبعة أجزاء، وكتاب التاريخ وهو ستة أجزاء[3].

كما ألف محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير كتبا كثيرة أشهرها كتابا شريفا سماه المجموعة على مذهب مالك وأصحابه، لكن عاجلته المنية قبل إتمامه، وله كتاب التفاسير، وكتاب الورع، وكتاب فضائل أصحاب مالك وغيرها[4]، كما كان أيضا للفقيه إسماعيل بن

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 290.

[2]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 400.

[3]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 424.

[4]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 433.

إسحاق بن إسماعيل تواليف كثيرة مفيدة أصول في فنونها منها موطؤه، وكتاب أحكام القرآن، وكتاب القراءات، وكتاب معاني القرآن وإعرابه وهو خمس وعشرون جزءا، وكتاب الرد على محمد بن الحسن وهو مائتا جزء لكن لم يكمله، كتاب الرد على أبي حنيفة، كتاب الرد على الشافعي في مسألة الخمس، وكتاب المبسوط في الفقه ومختصره،وكتاب الأموال والمغازي، وكتاب الشفاعة، وكتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[1].

أما محمد بن عمر أبو عبد الله فقد كان من أهل العقل والدين والثقة، وله كتب كثيرة في الفقه وكتاب في أكرية السفن[2]، كذلك محمد بن تميم القسطلي من أهل قفصة، كان ثقة، سمع عن أنس بن عياض كثيرا، ومن عبد الله بن وهب وابن بكير، وكان يقدم سوسة فيأتيه أهل القيروان يسمعون منه، روى عنه ابنه هبة الله وسليمان بن سالم، كثير الكتب، كتب بخطه كثيرا في الحديث والفقه، ويقال أنه كتب بيده ثلاثة آلاف كتاب وخمسمائة[3].

وكذلك الفقيه أبو القاسم بن بهلول المعروف بالبربري، كان مفتي بلنسية في وقته، ومن أهل العلم والجلالة، وله كتاب في شرح المدونة سماه التقريب، استعمله الطلبة

للمذهب في المناظرة وانتفعوا به، وأخذت عليه فيه أوهام في النقل، حدث عنه المقرئ أبو داود الموفرني[4].

أيضا سليمان بن خلف بن سعدون القاضي أبو الوليد الباجي له العديد من المؤلفات في الفقه منها: كتاب المنتقى في شرح الموطأ فيه عشرين مجلدا، وكتاب المقتبس في علم مالك بن أنس، وكتاب السراج في عمل الحجاج في مسائل الخلاف، كتاب المذهب في اختصار المدونة وهو اختصار حسن، ومؤلفاته في الحديث: كتاب اختلاف الموطآت، كتاب التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح، كتاب في الأصول والكلام، كتاب

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص ص 464-471.

[2]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 510.

[3]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 418.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 366.

التسديد إلى معرفة طرق التوحيد، كتاب أحكام الفصول في أحكام الأصول، كتاب الحدود، وكتاب تفسير المنهاج في ترتيب طرق الحجاج[1].

وأيضا الفقيه ابن السيد المعروف بابن السرحان المري له كتاب في الوثائق، وكتاب في فقهها[2].

وأيضا أبو القاسم عبد الرحمن بن محرز القيرواني تفقه بشيوخ القيروان، أبي بكر بن عبد الرحمن، وسمع من ابن عمران وأبي حفص العطار، يتولى الطلبة نبيلا ذا رأي حسن، ومروءة تامة، وله تصانيف حسنة وعديدة منها: التعليق على المدونة سماه التبصرة، وكتابه الكبير المسمى بالقصد والإيجاز، وابتلي آخر عمره بالجذام[3].

والفقيه خلف بن مسلمة بن عبد الغفور فقيه حافظ الف كتاب الاستغناء في أدب القضاء والأحكام، كتاب كبير يحتوي خمسة عشر جزء، كثير الفائدة والعلم[4].

رابعا: مكانة العلماء الفكرية والثقافية

أ-عند الحكام والأمراء

أشار القاضي عياض إلى الدرجة الرفيعة والمكانة العالية التي تمتع بها الفقهاء والعلماء خاصة عند الحكام والأمراء فقد قاموا بتشجيع العلماء والإهتمام بهم، وبذل الأموال لهم وإعلاء مكانتهم، وتقريب المناصب والسلطة من بعضهم، وذلك لما لديهم من أفكار وحكم وخطط تخدم السلطة والسكان والدولة.

فقد كان بنو محمد بن يحيى الحذاء ذو وجاهة في أعمال السلطان بالأندلس من التقديم على مهام الأعمال والتصريف في الأمور الجليلة[5]، وأيضا العالم أبو غالب تمام بن عبد الله

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص ص 347-351.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 338.

[3]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 327.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 319.

[5]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 301.

بن تمام بن غالب المعافري من طليطلة، كان من أهل العلم والمعرفة والرواية الواسعة والعقل، فقد كان الحكم قد جلبه إلى قرطبة وقربه منه، فقامت له بها سوق[1].

وكذلك الفقيه محمد بن عبد الله بن عبد البر الذي كانت له منزلة ووجاهة عند العامة في العلم والزهد، وله منزلة خاصة من الحكم المستنصر، ومحل لطيف، وقد عتب الحكم عليه في شيء فأقسم أن لا يطأ عتبة منزله سنة، ثم لم يمض عنه فنصب له كرسيا خارج المجلس، فجلس عليه إلى ان اكتملت سنة وعاد لعادته[2].

وهذا إسحاق بن إبراهيم بن مسرة الذي كان الحكم معظما له، وكان إذا دخل عليه يمد رجليه أمامه ويعتذر لكبر سنه، فيقول له الحكم: لا مؤونة عليك منا، أقعد كيف شئت، وقد كان قليل الهيبة للملوك[3].

والفقيه أحمد بن علي بن أحمد المغربي المعروف بأبو العباس الباغاني، وصف أنه بحر من بحار العلم، وله تأليف في أحكام القرآن وهي التي جعلت له مكانة خاصة عند العامرية[4].

وكذلك إبراهيم بن حسين بن عاصم، الذي رحل إلى المشرق وسمع من جماعة، وكان من أهل الفقه، وتصرف للسلطان في أحكام السوق والشرطة، أيام الأمير محمد بن الأغلب، الذي غلب على أهل الشر، وقتل وصلب بلا مشاورة السلطان ولا فقيه، قصد بذلك التشديد عام المجاعة، لما كثر أهل الشر وكثر عليه من الحكام استطلاع رأيه في الصلب، والقطع وشبهه وولاه السوق وعهد إليه التحفظ، وأذن له بالعقوبات بلا مؤامرة ولا مشاورة[5].

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 198.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 94.

[3]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 97، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 302.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 265.

[5]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 450.

وابن شبطون زياد بن عبد الرحمان الذي يكنى أبا عبد الله، الذي كان الأمير هشام يؤثره ويكرمه ويسهم إليه ويخلوا به، ويسائله عما يعن إليه من أمور دينه، فيأخذ برأيه ويبالغ في بره ويدفع إليه المال يتصرف به، وربما احتاز به ليلا فيخرج إليه ويسلم عليه ويحادثه[1].

وعلى الرغم من ذلك نجد أن بعض العلماء كانوا مجانبين للأمراء والحكام وأيضا سوار بن أحمد بن سوار أبو القاسم الذي مقبلا حليما حسن البشر والتودد، لايلقى السلطان ولا يتصرف له، ولا يأتي الحكم ولا يشهد عندهم لعلة أوجبت ذلك، ذا معرفة بأخبار بلده[2]، وعبد الرحمان بن محمد بن عمر الذي كان صالح الكتاب، حسن الحفظ، جيد القريحة، كان عالما عاقلا، ذكر بالفضل والورع والعلم، حيث ذكر أنه لم يدخل على سلطان قط في إفريقية[3]، وكذلك عبد الرحمان بن سلمة الذي كان منقبض عن السلطان وأتباعه وحاشيته في الأندلس[4]، والحسن بن نصر السوسي الذي كان لا يهاب سلاطين إفريقية[5]، وأبو بكر بن السليم الذي كان منعزلا عن السلطان[6].

وفي الأخير يتبين لنا أن علماء بلاد المغرب والأندلس كانوا بعيدين عن الحكام والأمراء، ولعل ذلك يعود إلى المحن والظلم الكبير والمؤمرات التي تعرض لها بعض العلماء والفقهاء، وكذلك مكائد ودسائس فقهاء البلاط للعلماء والفقهاء الأخرين، كما أنه إذا كان قريبا من الحكام والأمراء أن يكون دقيقا في مواقفه وأحكامه الفقهية، لأنه إذا لم يقبل أو لم تعجب الأمير الفتوى أو الحكم تعرض الفقيه إلى كل أنواع الظلم والإستبداد.

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص 200-202.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 337.

[3]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 502.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 321.

[5]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 58.

[6]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 174.

ب-عند العامة:

إذا كان للعلماء مكانة مرموقة عند الحكام، فلهم مثل ذلك عند العامة من الناس، فهذا عبد الله بن محمد الصابوني، الذي كان الناس يتوجهون إليه من المتشاكين والخصوم، وذلك لحسن وساطته[1]، وكذلك علي بن محمد بن إبراهيم البصري، الذي خرج بجنازته بعد الزوال، فلم يصل إلى موقفه إلا بعد المغرب من كثرة من شاهده حتى ضج الناس بذلك[2]، وأيضا محمد بن خلف بن عبيد الذي اجتمع لجنازته خلق لم ير مثلهم[3].

أيضا يحيى بن عمر بن يوسف الكناني، الذي كانت له منازلة شريفة عند الخاصة والعامة، كذلك أحمد بن المعتب الذي مات وشهد الناس جنازته وباتوا على قبره[4]، وأيضا محمد بن نظيف المالكي الذي ذكر القاضي عياض بأنه جاء يوم لحضور بيع كتب، وفي المجلس جماعة من العلماء والصالحين، فلما رأوه قاموا كلهم على أرجلهم تعظيما له، وكانت له هيبة لم تكن لأحد في وقته[5].

وهذا عبد الله بن وهب بن مسلم القريشي الذي اجتمع يوما على بابه خلق كثير، فقام ليفتح فلما فتح ازدحموا للدخول فسقط وشج وجهه، فقال ماهذا إلا لخفة وقلة الوقار، والله لا أسمعتكم اليوم حرفا، ثم قعد فقعدوا، فلما رأى ما بهم من هدوء كفر وأسمعهم[6].

ت-العلاقة بين العلماء وطلابهم:

كما كان هناك علاقة وثيقة تربط الطلبة بمعلميهم من العلماء، فهذا بن زيد بن بشير بن زيد الأزدي كان يمشي إلى الجامع بتونس، فأقبل على الطلبة، إذا شاب من الحواريين قام على دكانه وقال لجاره: ما رأيت أو حش من هذا الشيخ، فنكس الشيخ رأسه وانصرف من

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج2، ص 185.

[2]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 133.

[3]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 479.

[4]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 505.

[5]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 136.

[6]- **المصدر نفسه**، ج1، ص ص 243،244.

الجامع مع عاوده الفتى بقبح فلم يلتفت إليه زيد فهم طلبته بضرب الفتى، فعندما سألهم أخبروه بأنهم فعلوا ذلك لاستخفاف الطالب به، واستهانته بعلمه[1]، كما أن أبا سنان زيد بن سنان الأسدي كان يحمل خبزه إلى الفرن على يده ولا يترك طلبته يحملونه تواضعا منه[2].

كما كانت علاقة المعلمين بطلابهم جيدة، فهذا عبد الله بن فروخ الفارسي كان يمازح الطلبة حوله[3]، كذلك إسحاق بن إبراهيم بن مسرة الذي كان لا يترك المسجد مع طلابه حتى لو ناداه الأمير واستعجله[4].

كما معوذ بن داود الأزدي يصرف فضل ضيعته إلى من ينتابه من أهل السبيل، وطلبة العلم، كما كان بعض المعلمين يشجعون الطلبة على العلم[5]، فهذا المنذر بن عبد الله الجذامي يقول لعبد الملك بن الماجشون: "أطلب العلم فإن معك حذاءك وسقاك"[6]، كما كان أبو بكر الأبهري أشد الناس مواساة لطلبة العلم والمعرفة[7].

---

[1]- القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج1، ص 368.

[2]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 371، الغامدي شريفة غرم الله: **المرجع السابق**، 310.

[3]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 194.

[4]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 97.

[5]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 316.

[6]- **المصدر نفسه**، ج1، ص 207.

[7]- **المصدر نفسه**، ج2، ص 124.

الخـــــاتمة

في نهاية هذا البحث المتعلق بالجوانب العلمية والفكرية في المغرب والأندلس من خلال كتاب "ترتيب المدارك" للقاضي عياض اليحصبي (ت 544هـ/ 1149م) توصلنا إلى مجموغة من الاستنتاجات نذكرها في ما يلي:

-أن القاضي عياض قد عاش أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري وقد عاصر أوضاعاً سياسية مضطربة في بلاده، بحيث ساد الإنقسام والتشتت بلاد الغرب الإسلامي عامة والأندلس خاصة أثناء الصراع بين المرابطين والموحدين، وعاش السكان والحكام في فترة من الإضطراب بسبب الفتن والمشاكل السياسية والدينية.

-بالرغم من الأوضاع المضطربة المذكورة، فإن طلب العلم بقي مستمرا، وقد كان القاضي عياض في مقدمة الطلبة والمهتمين بالعلم الذين واصلوا تحصيلهم العلمي.

-ان نبوغ القاضي عياض العلمي ومواهبه كان لها أثراً إيجابياً فيما خلفه لنا من آثار فكرية مختلفة، بقيت لنا نبراساً نقتدي به في وقتنا هذا، وتعددت مؤلفاته وتنوعت بين كتب الحديث وعلومه، والفقه والأحكام، والتاريخ، إلى غير ذلك من المصنفات العديدة الموجودة أو المفقودة.

-إن من أهداف تأليف القاضي عياض لكتاب المدارك ذكر أصحاب الإمام مالك الذين ثبت صحة روايتهم عن طريق إثبات الأسانيد، حتى لا يقع فيها تصحيف أو تحريف.

-نتيجة لرحلة القاضي عياض الطويلة تبين لنا أنه لم يكن هدفه التزود بالعلم فقط، بل إلى توثيق معرفته والتوسع في الفقه المالكي ويعتبر كتابه المدارك أكثر الكتب التي تحتوي على تراجم ممن اقتدوا وتمذهبوا بمذهبه.

- يمثل عمل القاضي عياض في هذا الكتاب موسوعة علمية في تاريخ الحياة الفكرية، لأن تراجم الكتاب لا تقتصر على ذكر حياة المترجم وميلاده ووفاته بل تتعدى ذلك إلى فنون من المعرفة كالتاريخ والفقه وأحكام بعض القضاة

واجتهاداتهم وأخبار الزهاد والعباد والممتحنين والمرابطين ويتخلل ذلك ملح وطرائف ونصوص أدبية من شعر ونثر.

-أمدنا القاضي عياض بمعلومات قيمة عن الناحية العلمية فقد أشار إلى أهمية الرحلات بالنسبة للعلماء، بحيث يندر أن نجد عالماً لم يكمل تحصيله العلمي في بلاد الحرمين أو مصر أو الشام أو العراق، بالإضافة إلى المناظرات العلمية، واهتمام الحكام بالعلم والعلماء، كذلك أشار إلى الكم الهائل والإنتاج الغزير للعلماء المتمثل في الكتب والمؤلفات، بالإضافة إلى انتشار أنواع من المدارس، مما يدل على مدى التقدم العلمي في تلك الفترة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن محمد الجزري (ت 630هـ/1232م): **الكامل في التاريخ**، تح: محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، (د ب)، 2003م.
2. الإدريسي الشريف أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله الحمودي الحسني (عاش ق6هـ/12م): **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، (د ط)، المطبعة الشرقية ليدن، أمستردام، 1969م.
3. ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الله (ت 574هـ/1178م): **الصلة**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1989م.
4. ابن الخطيب لسان الدين السليماني (ت 776هـ/1374م): **الإحاطة بأخبار غرناطة**، الموسوعات، مصر، 1901م.
5. الخفاجي شهاب الدين: **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض**، ض: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت.
6. ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر(ت 681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1972م.
7. ابن خلدون عبد الرحمان: **المقدمة**، تح: علي عبد الواحد وافي، ط7، نهضة مصر للنشر، الجيزة، 2014م.
8. الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت 748هـ/1347م): **تذكرة الحفاظ**، تح: عبد الرحمان بن يحي المعلمي، ط16، دار الكتب العلمية، الهند، 1958م.

9. الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن بشر (ت 379هـ/989م): **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد إبراهيم، ط2، دار المعارف، 1972م.

10. السيوطيجلال الدين كمال الدين أبي بكر بن محمد الأسيوطي (ت 911هـ/1505م): **مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض**، تح: الشيخ سمير القاضي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، (د ب)، 1989م.

11. بن أبي زرع الفاسي علي بن عبد الله(ت 762هـ/1325م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1972م.

12. ابن فرحونعلي المالكي (ت 799هـ/1396م): **الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب**، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

13. القاضي عياض أبو الفضل موسى اليحصبي (ت 544هـ/1149م): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

14. القاضي عياض أبو الفضل موسى اليحصبي (ت 544هـ/1149م): **التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة**، تح: محمد الوثيق وعبد النعيم حميتي، دار ابن حزم، بيروت، 2011م.

15. القاضي عياض أبو الفضل موسى اليحصبي (ت 544هـ/1149م): **فهرست شيوخ القاضي عياض"الغنية"**، تح: ماهر زهير جراح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.

16. القاضي عياض أبو الفضل موسى اليحصبي (ت 544هـ/1149م): **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تح: عامر الجزار، دار الحديث، (د ب)،2004م.

17. القاضي عياض أبو الفضل موسى اليحصبي (ت 544هـ/1149م): **الألماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث– المكتبة العتيقة، تونس، 1970م.

18. القاضي عياض أبو الفضل موسى اليحصبي (ت 544هـ/1149م): **شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تح: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1998م.

19. القاضي عياض أبو الفضل موسى اليحصبي (ت 544هـ/1149م): **بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد**، تح:أبي داود أيمن الدسوقي، دار الذخائر– إحياء لتراث أمة، (د ب)، 2018م.

20. القاضي عياض وولده محمد: **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، تح: محمد بن شريفة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

21. القلقشندي أبو العباس شهاب الدين بن أحمد علي بن أحمد (ت 821هـ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (د ط)، مطبعة العامرية، القاهرة، 1915م.

22. مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمانه، دار الرشاد الحديثة، 1979م.

23. محمد عبد الله بن القاضي عياض: **التعريف بالقاضي عياض**، تح: محمد بن شريفة، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1982م.

24. المراكشي عبد الواحد بن علي (ت 647هـ/1249م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، (د ط)، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.

25. المقري أبو لعباس شهاب الدين بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م):**أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م.

26. المقدسي البشاريأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 380هـ/990م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

27. ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الروحي البغدادي (ت 626هـ/1229م): **معجم البلدان**، د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م.

ثانيا: المراجع

1- أمصنصف كريم: **تقريب وتذهيب الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض**، تح: الشيخ عبد السلام الحصين، ن2، (د ن)،(د ب)، (د ت).

2- بروفنسال ليفي: **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

3- بوباية عبد القادر: **المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس**، كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

4- بوتشيش إبراهيم القادري: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993م.

5- بوتشيش إبراهيم القادري: **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د ت).

6- الترابي البشير علي حمد: **القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ورواية**، دار ابن حزم، (د ب)، 1997م.

7- حسن حمدي عبد المنعم محمود: **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م.

8- حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.

9- الجنحاني الحبيب: **المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، منتدى مكتبة الإسكندرية، مطابع الكويت، 2005م.

10- الجيدي عمر: **مباحث في المذهب المالكي في المغرب**، مطبعة المعارف الجديدة- الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، 1993م.

11- السرجاني راغب: **قصة الأندلس**، مؤسسة إقراء للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2011م.

12- الشواط الحسين بن محمد: **القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته**، دار القلم، دمشق، 1999م.

13- الصلابي علي محمد: **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي**، ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009م.

14- الصلابي علي محمد: **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2003م.

15- ضيف أبي عاصم بشير: **مصادر الفقه المالكي أصولا وفروعا في المشرق والمغرب قديما وحديثا**، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2008م.

16- نصر الله سعدون عباس: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف ابن تاشفين أمير المرابطين**، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م.

17- محمود حسين أحمد: **قيام دولة المرابطين صفحة مشتركة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، (د ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ت).

18- أبو المصطفى كمال السيد: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب،الإسكندرية، 1996م.

19- الميلي مبارك محمد: **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، تص: محمد الميلي، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ت).

20- الوراكلي حسن: **أبو الفضل القاضي عياض السبتي (ثبت بيبليوغرافي)**، (د ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

ثالثا: الأطروحات والرسائل الجامعية

1- باشا حكيم: **القاضي عياض وجهوده العقدية في مبحث الإلهيات والنبوات**، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف عمار جيدل، تخصص عقيدة، قسم الأديان والعقائد، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2010م.

2- صالح حماد فضل الله الصالحين: **تاريخ المغرب الأقصى الاقتصادي والاجتماعي في عصر المرابطي (448-541هـ/1056-1146م)**، رسالة ماجستير في التاريخ إسلامي، إشراف علي حسين الشطشاط، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا، 2013م.

3- الغامدي شريفة غرم الله: **الجوانب التاريخية والحضارية في كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهبمالك للقاضي عياض**، مذكرة لنيل درجة الماجستير، إشراف عبد الرحمان بن سليمان العجلان، التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2008م.

4- مصطفى مولى الخلوة: **أثر القاضي عياض في فن التحقيق"كتاب التنبيهات أنموذجا"**، مذكرة لنيل درجة الماجستير، إشراف دباغ محمد، فقه مالكي وتحقيق التراث، قسم العلوم

الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، الجامعة الإفريقية، أدرار،2015م.

رابعا: المجلات والمقالات العلمية

1- أحمد زينب محمد حامد محمد: "**الحياة الاجتماعية في المغرب الإسلامي خلال العهد المرابطي** "، عدد خاص، مجلة مدارات تاريخية، أفريل 2019م.

2- التقاز عبد الله عبد العزيز: "**الحياة الاقتصادية والاجتماعية في دولة المرابطين 488-541هـ/1056-1146م**"، ع6، مجلة كليات التربية، جامعة الزاوية، ليبيا، (2019م).

3- عبد الله حارث علي عبد الله:"**التعليم في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتب الفتاوى**"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج9، ع4، (2019م).

4- عبد المنعم عادل يحي: "**مصنفات العلم وشيوخه في سبتة من خلال برنامج القاضي عياض بن موسى اليحصبي**"، مجلة الشرق الأوسط. ع44، (د ب)، (د ت).

5- محمد سعيد الصمدي: "**حركة التجارة البحرية بين المغرب والأندلس أيام المرابطين**"، أعمال ندوة مضيق جبل طارق في علاقات المغرب الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، (2001م).

6- هشام البقالي: "**الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأندلس عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج التجيبي**"، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي، الممكلة المغربية، (د ت).

7- وهراني عبد الكريم طهير قدور: "**أصداء من الحياة الاجتماعية الأندلسية ببلاد المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين (448-667هـ)**"، مجلة جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، (2019م).

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
البسملة.	
شكر وعرفان.	
مقدمة	**أ – د**
الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة في المغرب والأندلس خلال عصر القاضي عياض ق (5 – 6هـ/ 11- 12م)	**05 –30**
تمهيد.	**06**
أولا: الوضع السياسي	**06**
ثانيا: الوضع الاقتصادي	**10**
1. الزراعة	10
2. الصناعة	13
3. التجارة	16
4. النظام المالي	21
ثالثا: الوضع الاجتماعي	**23**
رابعا: الوضع الديني والفكري	**28**
الفصل الأول: التعريف بشخصية القاضي عياض وكتابه	**31 – 65**
أولا: حياة القاضي عياض	**32**
1. اسمه ونسبه	32
2. مولده	35
3. نشأته وتعليمه	37
4. شيوخه وتلاميذه	43
5. وفاته	56
ثانيا: مؤلفات القاضي عياض	**57**
1. المؤلفات المطبوعة	57

2. المؤلفات المخطوطة	60
3. المؤلفات المفقودة	61
ثالثا: محتوي الكتاب ومكانته العلمية (ترتيب المدارك)	**64**
الفصل الثاني: مظاهر الحياة الفكرية والعلمية في المغرب والأندلس	**66 –97**
تمهيد	**67**
أولا: الرحلات والمناظرات العلمية	**67**
1. الرحلات العلمية.	67
2. المناظرات العلمية.	74
ثانيا: اهتمام الخلفاء والحكام بالعلم والعلماء	**79**
ثالثا: دور المدارس في الإنتاج العلمي	**82**
1. المدارس	82
2. الإنتاج العلمي	88
رابعا: مكانة العلماء الفكرية والثقافية	**93**
1. عند الحكام والأمراء	93
2. عند العامة	95
3. العلاقة بين العلماء وطلابهم	96
خاتمة.	**99**
قائمة المصادر والمراجع	**103**
فهرس المحتويات	**111**